الجمـــهوريـــــة الجـــزائريـــة الديمقـــراطيـــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
جامعـــة مولـــود معمـــري تيزي وزو
كليّة الآداب و اللّغات
قسم الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

التخصـــص: اللغة والأدب العربي
الفـــــــــرع: النحو العربي

إعداد الطّالبة: كهينة زموش

الموضـــــوع:

حجاج موسى عليه السّلام في النّص القرآنيّ
- دراسة تداولّية-

د/ حاوزة سعيد: أستاذ محاضر صنف (أ) جامعة مولود معمري تيزي وزو .....رئيسا

أ.د/ صلاح يوسف عبد القادر: أستاذ التعليم العالي. جامعة مولود معمري تيزي وزو.....مشرفا ومقررا

د/عشي نصيرة: أستاذة محاضرة صنف (أ) جامعة مولود معمري.....عضوا ممتحنا

تاريخ المناقشة:

شكر وعرفان

أتوجّه بالشّكر الخالص –بعد شكر المولى عزّ وجلّ– إلى الأستاذ المشرف "الدكتور صلاح يوسف عبد القادر" على تفضّله وقبوله الإشراف على هذه المذكّرة، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كلّ من أسهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا العمل المتواضع إلى الوجود أخصّ بالذّكر :

الأستاذة راوية يحياوي– الأستاذة كريمة سالمي

الأستاذ العبّاس عبدوش

وإلى خير صحبة أعانتي على المضيّ قدما في درب الدّين والدّنيا:

سهيلة دريوش – رادية مرجان – أمين قادري – صالح بوعمّار

لمياء دحماني – سامية مشتوب – وريدة قرج – فريزة مازوني

إبراهيم إيدير – حكيم رحمون

وإلى إمامنا وقدوتنا الحاج صايب محند أويدير

دمتم سراجا يستضاء به حيث حللتم

كهينة

إهداء

إلى من قرن الله عبادته بهما

والديّ الغاليين وفاء بالعهد

إلى من أبعده عنّا أجلّ مطلب أخي إيدير شوقا وتقديرا

إلى من غمرنا بمرحه فكان ريحانا عطّر بيتنا أخي حسين

إلى آخر العنقود أخي عيسى

إلى أخواتي روزة– مليكة وزوجها محمّد – كريمة وزوجها محرز –

إلى الجواهر الثّلاث

ياسمين – ثيزيري – فريال

حبّا وأملا

كهينة

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرّحيم

مقدمة:

لقد نال القرآن الكريم حظا كبيرا من الدراسة والتحليل، حتى ليكاد يقال إنه ليس هناك ما تبقى منه، لم يُتعرّض له من قبل المهتمين بهذا الكتاب العزيز، فالدراسات القرآنية جرت ومازالت تجري على قدم وساق، ومع ذلك فإننا كلما أخذنا هذا النص، ونظرنا إليه من زاوية مختلفة خرجنا بنتائج حميدة، وكشفنا الستر على وجه جديد فيه، وهذا قدَره وإعجازه، فهو كتاب الله المنزل رحمة للعالمين، إلى يوم الدين، فلا يمكننا أن نتحدث عن صلاحيته لكل زمان ومكان، ثم نقول إن الأولين قد أتوا على كل نقطة فيه، وأشبعوه تحليلا، ولم يتركوا لنا شيئا نخوض فيه...

نتعرض في هذا العمل إلى القصص القرآني، وهو على قدر كبير من الأهمية، في الدّراسات القرآنيّة، إذ يكاد يكون دعامة لا غنى عنها لمبلّغ الرسالة المحمّدية، فإنّنا زيادة على الغرض من القصص المتعارف عليه والشّائع بيننا اليوم من إمتاع وتنمية للخيال وإذكائه، وغيرها من الأمور نسجل في القصص القرآني هدفا أسمى وغاية أرقى، فهو قصص هادف وتربوي بالدرجة الأولى وهو بعد ذلك قصص مواجهة، لأن الله سبحانه وتعالى حين كان يسرد تلك المواقف على خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم، كان في حقيقة الأمر يواجه بها أحياء كانوا يعارضون الدعوة الإسلامية وصاحبها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، فيردّ عليهم بتذكيرهم بمواقف غيرهم من الأمم الماضية مع أنبيائهم ومرسليهم ومختلف تجاربهم، وما كانت نتيجة طغيانهم، وهي في الحقيقة مواقف مشابهة لموقفهم من الدعوة المحمدية، فهو(النص القرآني) لا يقصّ قصة إلا ليواجه بها واقعا، ولا يقرر حقيقة إلا ليغيّر بها باطلا، وهو الغاية الأسمى في الحجاج، إذ يروم المحاجج التأثير في الآخر، واستمالته، وجعله يقتنع بالطرح الجديد، فيتوصّل إلى التأثير على الطرف الآخر، وجعله يقتنع، فيلزمه الحجّة.

وقد اعتمد الخطاب القرآني على قصص الأنبياء والمرسلين الذين أرسلوا إلى الأمم السابقة وما عانوه من أقوامهم من أجل تبليغ الرّسالة الإسلاميّة، وذلك بمجابهة المعارضين لهذه الدّعوة الجديدة، بأخبار أمثالهم في الأمم الغابرة، وقد وقع اختيارنا على قصص سيّدنا موسى عليه السّلام، لأنّه الأكثر ورودا، وهو يحكي قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع بني

إسرائيل، الذين كانت شوكتهم في مواجهة الدّعوة المحمّديّة حادّة، مجابها إيّاهم بأخبار أسلافهم مع سيّدنا موسى عليه السّلام الذي خلصهم من العبودية وما كان منهم على طول مسار الدّعوة، وحتى لا نتعدّى النّص القرآني إلى غيره من الكتب السماويّة الأخرى، جاء عنوان المذكّرة: **حجاج موسى عليه السّلام في النّص القرآني – دراسة تداوليّة**– بتحديد المدوّنة فيما جاء من الأخبار في القرآن الكريم، ولأن الخطاب القرآني خطاب حجاجي حاولنا البحث عن البعد الحجاجي في المدونة التي أشرنا إليها من قبل، وذلك بالإجابة على مجموعة من الأسئلة التي تشكل مجتمعة نص الإشكالية التي يقوم عليها هذا العمل ولعل أهمها:

- إذا كان النص القرآني نصا حجاجيا فهل ينطبق هذا على القصص الوارد فيه؟
- إذا كان سيدنا موسى عليه السّلام كليم الله فهل في الموقف الذي جمعهما حجاج، وهل يمكننا أن نتحدث عن حجاج من جهة سيدنا موسى في الموقف نفسه ؟
- إذا أخذنا بعين الاعتبار تعدّد الأطراف التي واجهها سيّدنا موسى عليه السّلام، فما هي الأمور التي راعاها سيّدنا موسى عليه السّلام في اختيار إستراتيجياته الحجاجية مع كل واحد منها؟

وللإجابة على هذه الأسئلة، اعتمدنا المنهج التّداولي في تحليلنا، لأنّا وجدناه الأنسب للإجابة عن مثل هذه الأسئلة، فاتّخذنا بعضا من آلياته واستراتيجياته آليات لتحليل المدوّنة، منها نوع العلاقة بين أطراف العملية الحجاجية والاستراتيجيات المعتمدة فيما بينها في تشكيل الخطاب من أجل تبليغ الرسالة وتوصيلها للآخر، مع مراعاة إقناع المرسل إليه بمضمونه.

أما عن بنية البحث، فقد راعينا في تقسيم المدوّنة عدد الأطراف المتحاججة ونوع العلاقة بينها، وما يستتبع ذلك من اختلاف آليات التواصل والحجاج في كل مرة، فجاء البحث في مقدّمة ومدخل مع فصلين تطبيقيين، وفي النّهاية ختمنا البحث بأهم النتائج المتوصّل إليها بعد التّحليل.

عرضنا في المقدّمة للخطوط العريضة للبحث، وأشرنا إلى الإشكالية التي يتناولها، والمنهج المعتمد، وكذا بنية البحث، وفي المدخل حاولنا أن نتعرّض لمصطلح الحجاج بين اللغة والإصطلاح، وروده في القرآن الكريم، أمّا الفصل

الأوّل فخصّصناه بالحجاج التّواصلي، وعرضنا فيه لنموذجين من قصص سيّدنا موسى عليه السّلام، الأوّل: تعرّضنا فيه لحجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع الله سبحانه وتعالى ويليه حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح. في حين خصّصنا الفصل الثّاني للحجاج التّنازعي، أبرزنا فيه بعض خصائص هذا الخطاب وأهمّ سماته، ثمّ عرضنا كذلك نموذجين الأوّل خصّصناه لحجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون، والثّاني لسيّدنا موسى عليه السّلام مع القوم. وختمنا بحثنا في الأخير بأهمّ النتائج المتوصّل إليها بعد إنجازه.

ولأنّ المدوّنة قرآنية، فقد فرضت علينا العودة إلى الدّراسات القرآنية قديمها وحديثها، وكان لنا أن اعتمدنا بشكل كبير على **تفسير التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور**، ذلك أنّه تفسير لغوي جمع لنا فيه صاحبه تقريبا كل ما في التّفاسير القديمة، فأغنانا عناء العودة إليها، والبحث في ثناياها على كثرتها، وتعدّد مشارب مؤلفيها، وقد أظهر صاحبه قدرة فائقة في طريقة تحليل النّصوص، إذ يقف في كلّ مرّة عند الحجج المقدّمة، ويشير إلى مختلف الإستراتيجيات المعتمدة، والغرض من اختيارها، ومدى تأثيرها على الآخر، ويركّز على الآليات اللغوية وأبعادها الحجاجية. أمّا عن المراجع الحديثة في الميدان فقد وجدنا من بينها **الحجاج في القرآن** لعبد الله صولة.

وككل باحث مهما اختلفت مجالات البحث والتّخصّص، اعترضتنا مجموعة من المشكلات والصعوبات أهمّها:

- بلاغة لغة المدوّنة(النّص القرآني) ما تطلّب منا الرّجوع إلى التفاسير القرآنية القديمة منها والحديثة) من أجل فهم معانيه ومراميه، حتى لا نخرج النّص عن معانيه الأصلية.
- تعدّد مشارب البحث وتقاطعها، وكثرة المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع، لكنّ أكثرها غير متوفّر وقد كلّفنا البحث عنها تضييع الكثير من عمر البحث، وزاد بعد ذلك في تمديد عمره وجوب الإطلاع على ما تحصّلنا عليه، وإن كان أكثر ما تحصّلنا عليه من المؤلّفات، من أجل الانتقاء، في شكل مكتبة إلكترونيّة، وللزّملاء والأساتذة الذين شاركونا رحلة البحث عنها والحصول عليها جزيل الشّكر.

- اختلاف المصطلحات الخاصّة بالدّرس الحجاجي والمنهج التّداولي، لاختلاف آليات التّحليل التّداولي من باحث لآخر، ومن نظرية لأخرى، ما صعّب علينا مهمّة البحث.

وفي الأخير أقدّم شكري للأستاذ المشرف **الدّكتور صلاح يوسف عبد القادر** الذي منح لي حرّية البحث والتّحليل، ويسّر لي السبيل، كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمهم قراء البحث، ولهم شكر مسبق على كل الملاحظات التي سيبدونها فيه من أجل تقييمه وإثرائه.

ونأمل في الأخير أن نكون قد حقّقنا بعضا مما تصبو إليه الدّراسة، ونرجو أن يكون في هذا العمل بعض الإفادة والنّفع ونعتذر مسبقا عما يمكن أن يكون قد ورد فيه من زلاّت وهفوات نتيجة قصور علم، أو ضعف معرفة، فإن لم يكن لنا أجر المصيب، فحسبنا في ذلك أجر المجتهد.

تيزي وزو 25/ 10/ 2011.

المـــدخـــل

الحجاج لغة واصطلاحا: يعرّف ابن منظور الحجاج قائلا: «**حَاجَجْتُه أُحَاجُّهُ حِجَاجًا ومُحَاجَّةً حتّى حَجَجْتُه أي غلبته بالحُجَجِ الّتي أدليت بها(...) والحُجَّةُ: البرهان وقيل: الحُجَّةُ ما دفع به الخصم وقال الأزهريّ: الحُجَّةُ الوجه الّذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جدل وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غلبه على حُجَّتِهِ، وفي الحديث: فَحَجَّ آدم موسى أي غلبه بالحُجَّةِ**»[1] ونجد في المعجم الوسيط ما يلي: «**...حَاجَّهُ فَحَجَّهُ...(حَاجَّهُ) مُحَاجَّةً، وحِجَاجًا: جَادَلَهُ. وحَاجَّهُ: عارضه مستنكرا...(تَحَاجُّوا): تجادلوا**»[2] ونقول: «**حَجَّ مناظره: غلبه بالحُجَّةِ والبرهان وحَاجَّهُ: جادله وتَحَاجَّا: تخاصما(...) والحُجَّةُ: البرهان، ولا حُجَّةَ بيننا: لا مَحَاجَّةَ ولا مجادلة ولا خصومة بيننا**»[3]ونقول: «**... احْتَجَّ احْتِجَاجًا أتى بالحُجَّةِ، واحْتَجَّ به جعله حُجَّةً له واعتذر به، واسْتَحَجَّ الرّجل اسْتِحْجَاجًا طلب الحُجَّةَ وأبداها(...) ورجل مِحْجَاجٌ أي جدل(...)**»[4] فالحجاج في كل هذا قريب من معنى الجدل الذي هو الخصومة والإعتراض بباطل، وقد يكون بمعنى الحجة أو الدّليل. ويقابل هذه اللّفظة في اللّغة الفرنسية لفظة "*argumentation*" الّتي تدلّ على معاني متقاربة أبرزها حسب قاموس "***LePetit Robert***" كونه «**مجموعة من الحجج الّتي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة**»[5] ولذا فالحجاج خطاب بين اثنين يدلي فيه كلّ طرف برأيه أمام الآخر قصد إقناعه، وفي ذلك يقول طه عبد الرّحمان: «**هو كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها**»[6] إذ يتصوّر أنّ الحجاج هو «**كلّ خطاب يضامّ قصودا أربعة،**

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (حجج)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط، 1997، مج، ص570.

[2] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، ج1، مطابع المعارف، مصر، 1393هـ/1972م، مادة (حجّ) ص156.

[3] – محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية –مادة(حبل، حتم، حتى، حثث، حجب حجج)– ط2، دب 1968، ص123.

[4] – المعلم بطرس البستاني: كتاب قطر المحيط –مادة(حجج ــ حجر)– المجلد1، 1968، ص361.

5 -Le Petit Robert: Dictionnaire de la langue Française, 1er rédaction, Paris, 1990, P99.

[6] – طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، أو التّكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998، ص226.

قصد التّوجه إلى الغير وقصد إفهامه ثمّ قصد الإدّعاء وقصد الإعتراض»[1] حيث يقتضي «**قصد الإدّعاء(...) ادّعاء النّاطق الصّريح لما يقول من نفسه والإستعداد التّام لإقامة الدّليل عليه عند الضرورة، وأمّا قصد الإعتراض فيقتضي أن يكون للمنطوق له حقّ مطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدّعيه**»[2] بحيث يختص قصد الادعاء بالمخاطِب، الذي يجب أن يكون على بينة من أمره فيما يقول، مستعدا للدفاع عن رأيه والتدليل عليه في أي وقت، وأمام أي كان، في حين يختصّ قصد الإعتراض بالمخاطَب الّذي يملك كلّ الحقّ في المطالبة بأيّ تفسير حتىّ وإن كان له رأي مخالف، فله أن يدلي به على أن تكون له أدلّته المقنعة هو أيضا فيما يدّعيه، فهما يتناوبان على دوري الإدعاء والإعتراض، فالتّباين في وجهات النّظر أمر مفروغ منه في العملية الحجاجية. إذ يشير «**استخدام مادّة argue في الانجليزيّة الحديثة، إلى وجود اختلاف بين الطّرفيين، ومحاولة كلّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره وذلك بتقديم الأسباب والعلل resons التي تكون حجّة مدعّمة أو داحضة لفكرة أو رأي، أو سلوك ما**»[3]

ويرى عبد الحليم بن عيسى أنّ أهمّ شيء تتأسّس عليه دلالة الحجاج هو «**وجود اختلاف بين المرسل للرّسالة اللّغوية والمتلقّي لها، ومحاولة الأوّل إقناع الثّاني بوجهة نظره بتقديم الحجّة والدّليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معيّنة في الاتّصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتّأثير فيهم، بالتّالي إقناعهم بمقصد معيّن**»[4] فلا حجاج دون اختلاف ولا حجاج دون القدرة على الإقناع بالأدلّة والحُجج فوظيفته(الحجاج) «**ترتدّ إلى طرح الحجج الّتي تضمن النّفاذية للخطاب اللّغوي، وبالتّالي حصول الإقتناع الفعلي بالقضية المطروحة وهذا يعني توظيف الآليات الّتي تجتاز الإعتقاد الأوّلي نحو التّغيير، وبناء الموقف المغاير**»[5] فلا حجاج دون ورود الأدلّة الّتي توصل إلى الإقناع، غير أنّ الملاحَظ

---

[1] – طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، أو التّكوثر العقلي، ص225.

[2] – نفسه: ، صنفسها.

[3] – جميل عبد المجيد: البلاغة والاتّصال، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2000، ص 105.

[4] – عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا" العدد 102، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب– دمشق، السنة السادسة والعشرون– نيسان 2006. ربيع الثاني، 1427. ص4

[5] – نفسه: ص 4.

في كلام بن عيسى هذا حصره الحجاج في الآليات اللّغوية، فالواقع أن الحجاج قد يكون بوسائل أخرى غير لغوية، كما هو الحال مع الأنبياء أجمعين، ولنا أن نخصّ بالذّكر في هذا المقام حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام، مع فرعون وقومه، إذ استعان للتّدليل على صحّة رسالته الّتي بُعث بها، بتلك الآيات البيّنات الّتي أيّده الله سبحانه وتعالى بها كالعصا التي تتحوّل إلى ثعبان مبين، واليد الّتي يخرجها بيضاء من غير سوء كلّما أدخلها في جيبه، وانشقاق البحر، والجبل الذي نتقه الله فوق رؤوس القوم، والحجر الّذي يتفجّر ماءً، وتنزّل المنّ والسّلوى عليهم... وغيرها من الأمور الأخرى العجيبة والخارقة، وهي في مجموعها معجزات خارجة عن نطاق اللغة. فالحجاج وإن كانت اللّغة من بين الأسس الّتي يقوم عليها، فإن المعرفة اللّغوية تبقى غير كافية من أجل التوصّل لإقناع الغير وتبديل آرائهم وتوجّهاتهم، لذلك لابدّ للمدّعي أن يكون محيطا بجملة من الأمور الّتي تيسّر له سبل الإقناع من تحديد للمقام ومعرفة بالمخاطَب ومكانته واهتماماته وغيرها، فإذا كان الحجاج يرتبط في أساسه بما تستدعيه أساليب إجراء اللّغة، فإنه من الضّروري أن نشير إلى أن هذا الأمر لا يتوقّف عند هذا الحد، بل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة، ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى، فالغاية الّتي يتأسّس عليها هي مجابهة العقول وإقناعها بالطّرح المقدّم, فالحجاج في النهاية «**ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ثمّ اختيار أحسن السّبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطّرح المقدَّم. فإذا لم توضع هذه الأمور النّفسية والإجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير**»[1] لأنّ النّظرية الحجاجية في النّهاية تتجاذبها جوانب مختلفة، لا تتعلّق باللّغة فحسب، بل ترتبط أيضا بالجانب النّفسي والاجتماعي والثّقافي وغيرها من المستلزمات الّتي تؤطّر الخطاب اللّغوي الحجاجي وتسهم في إنتاجه.

– **الحجـــاج فـــي اللّغـــة:** يذهب ديكرو وهو المعروف بتوجّهه اللّساني في النّظرية الحجاجية إلى «**أنّ العملية الحجاجية تتلخّص لغويا في أن يقدّم المتكلّم قولا أو مجموعة أقوال هي (ق1) يقود إلى(ق2) هو بمثابة النتيجة**»[2] ما يعني أن الحجاج هو الإتيان

[1] – عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في القرآن الكريم، ص4.

2 - Ducrot(O) et Anscombre(J.C): L'argumentation dans la langue, (éd.) Mardaga, 1997, p8.

بمجموعة من الحجج التي تساعدنا على تحديد وجهة النتيجة، وهو تقديم لقول، الغاية منه إفهام قول آخر ولا يقصد من هذا التعريف تقديم القول(ق1) ليفهم منه مباشرة القول(ق2)، أو أن يتلفّظ المتكلّم بالقول(ق1) ليفهم المستمع القول(ق2). المقصود بتحديد ديكرو وأنسكومبر هو «**حمل المستمع على فهم ما، ليتسنّى للمتكلّم توجيه الخطاب وجهة معيّنة عن طريق بناء إطار يفرضه على المستمع بتلفّظه ذلك**»[1]. لأنّنا في العادة، لا نتكلّم إلا لنقول شيئا «**وحينما نستمع إلى امرئ نتوقّع منه شيئا يراد قوله، إنّنا نستعمل الكلمات لنوجّه انتباه السّامعين إلى شأن أو مسألة إنّنا نقدّم إلى السامعين بعض الكلمات طمعا في أن ينظر إليها أو طمعا في إثارة بعض الأفكار**»[2] لأنّ القيمة الحجاجية لأي ملفوظ «**غير ناتجة فقط عن المعلومات الّتي يحتويها بل قد تحتوي الجملة على مورفيمات وتعابير أو صيغ، زيادة على محتواها الإخباري، تفيد إعطاء توجّه حجاجي للملفوظ، وحمل المتلقي إلى وجهة أو أخرى**»[3] وعلى هذا الأساس ذهب البعض ولعل أهمهم ديكرو وأسكومبر إلى إمكانية الاكتفاء بالجانب اللغوي في العملية الحجاجية فاللّغة وحدها كفيلة بأن تقوم بتوجيه الخطاب ومعه المتلقي الوجهة التي يحدّدها المتكلم دون الاستعانة بالأمور الخارجية ومختلف ملابسات الكلام وظروف إنشائه، فالمعروف أنّ الصّياغة اللغويّة ترتبط بالسّياقات التي ترد فيها، وذلك بذكرنا عناصر معيّنة أو حذفها ويكون لها أهميّة بالغة في الإبلاغ كما نلاحظ أنّ طبيعة التأليف إيجازاً أو إطناباً أو تجريداً أو تأكيداً تتأثّر بحسب المقام الّذي ترد فيه، فمستويات التّعبير تتنوّع بتنوّع الأحوال والمقامات، وكما يقول السّكاكي «**لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام التّشكّر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناءً على الإستخبار أو الإنكار**»[4] فلو ركّزنا على هذا القول فإنّنا سندرك أنّ أشكال الاستعمال اللّغوي في مختلف العلاقات الاتّصالية تتنوَّع بحسب مقتضيات الاتِّصال اللّغوي، ولوِ استحضرنا

---

[1] – عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989 و 2000، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005– 2006، ص185.

[2] – مصطفى ناصف: اللغة والتّفسير والتّواصل، العدد 193، عالم المعرفة، يناير 1978، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،، ص 10.

[3] - O. Ducrot (1980), Les échelles argumentatives, les Editions de Minuit, p. 19.

[4] – السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص95

مقولة الحجاج الّذي يتأسّس على الإنكار أو الشكّ فإنّنا نلاحظ أنّ البيان الحِجاجي يرتبط في أساسه بمستلزمات خاصة تستدعي التّركيز عليها من أجل تحقيق التّصديق والإقناع بالطّرح المقدّم. والحجاج قبل كل شيء «**ينتمي إلى عائلة الأفعال الإنسانية التي تهدف إلى الإقناع إذ العديد من الوضعيات التواصلية تستدعي وجود شخص، مرسل إليه أو جمهور يتبنى سلوكا معينا، أو يقتسم وجهة نظر معينة**»[1] على حد تعبير فيليب بيريتون Philippe Breton في كتابه الحجاج في التواصل.

*** السّلالم الحجاجية:**

مفهوم السلّم الحجاجيّ: يعرف السّلّم الحجاجيّ بأنّه: «**مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة ومستوفية للشّرطين التّاليين:**

- **كلّ قول يقع في مرتبة ما من السّلّمّ يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.**
- **كل قول في السّلّم كان دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى**»[2]

قوانين السلّم الحجاجي: جعل طه عبد الرّحمان للسلّم الحجاجي قوانين ثلاثة نذكرها فيما يلي:

- « **قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب الّتي تقع تحتها.**
- **قانون تبديل السّلّم: إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.**
- **قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن فإنّ نقيض الثّاني أقوى من نقيض الأوّل في التّدليل على نقيض المدلول.** »[3]

والملاحظ أنّ قواعد السلّم الحجاجي، تهدف في أساسها إلى تأكيد نتيجة معيّنة، تسبقها معطيات، أو بالأحرى مقدّمات، تسهم بطريقة مضبوطة في التّقديم، في تحقيق القضيّة

---

[1] – Philippe Breton: l'argumentation dans la communication, 3eme Edition, la découverte, Paris, 2003, p3 .

[2] – طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص 105.

[3] – نفسه: ص105– 106.

المطروحة، أو دحضها، و يذهب "**شكري المبخوت**" إلى أنّ نظرية السّلالم الحجاجية تنطلق من «**إقرار التّلازم في عمل المحاجّة بين القول- الحجّة ق ونتيجته ن، ومعنى هذا التّلازم هنا هو أنّ الحجّة لا تكون حجّة بالنّسبة للمتكلّم إلاّ بإضافتها إلى النّتيجة مع الإشارة إلى أنّ النّتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنيّة**»[1] وإذا كانت الوجهة الحجاجية للقول تحدّد قيمته على اعتبار أنّه تدعيم لنتيجة ما وإذا اعتبرنا أنّ القول الّذي يندرج ضمن قسم حجاجيّ يقوم على قوّة وضعف بعض مكوّناته بالنّسبة إلى نتيجة ما، فإنّ مفهوم السلّم الحجاجي بتركيزه المتدرّج والموجّه للأقوال، يبيّن بوضوح أنّ الحجاج لا يتحدّد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لما هو موجود في العالم، بل هو رهن اختبار حجّة ما بدل أخرى بالنّسبة إلى نتيجة ما فالحكم على الحجاج أساسه القوّة والضّعف، على اعتبار طابع التدرّج فيه وليس اعتبارا للصّدق والكذب.

*** الأقسام الحجاجية:**

- **مفهوم القسم الحجاجي:** يعرّف ديكرو القسم الحجاجي قائلا: «**إنّ المتكلّم، في وضعية خطاب محدّدة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجيّ واحد يفضي إلى نتيجة (ن) بشرط أن يكون الملفوظان يقودان ويخدمان نفس النّتيجة(ن)** »[2] وهو ما اصطلح عليه ديكرو بـــclasse d'argument (C.A) والمفهوم من كلام ديكرو هذا أنّ القسم الحجاجي هو «**مجموعة الملافيظ أو الأقوال الّتي تأخذ محلّ (ق1) في المعادلة الحجاجية وتقود هذه المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تثبتها وتؤكّدها، ويحسن بنا في هذا السّياق التّذكير بتعريف ديكرو للحجاج إذ يرى أنّ العمليّة الحجاجية تتلخّص لغويا في أن يقدّم المتكلّم قولا أو مجموعة أقوال هي (ق1) يقود إلى (ق2) هو بمثابة النّتيجة**»[3]

*** الرّوابط الحجاجية:** اِقترنت الرّوابط الحجاجية فيما سبق بالدّراسات الدّلالية والنّحوية، ما جعل بعض الدّارسين يعتبرون «**أنّ دورها لا يتجاوز الرّبط بين الجمل والقضايا، أمّا بعدها الحجاجي والتّداولي فقد برز مع ديكرو في إطار صياغته للتّداولية المندمجة وهي النّظرية**

---

[1] - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ، منشورات كلية الآداب منوبة،(دت)، ص363.

2 - Ducrot(O) et Anscombre(J.C): L'argumentation dans la langue, 1997, p17.

3 - Ducrot (O) et Anscombre (J.C): L'argumentation dans la langue, p8.

التّداولية الّتي تشكّل جزءًا من النّظرية الدّلالية»[1] وقد أشار ديكرو وأنسكومبر أثناء صياغتهما لـــ "النّظرية الحجاجية في اللّغة" إلى ظاهرة لغوية مهمّة جدّا تتدخّل بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج الوجهة الّتي يريدها المتكلّم فهي عناصر لغوية تلعب دورا أساسيا في اتّساق النصّ وربط أجزائه ومعناه، وهذا ما سمّاه ديكرو بالروابط الحجاجية، ومن هنا فالوجهة الحجاجية إذا كانت «**محدّدة بالبنية اللّغوية فإنّها تبرز في مكوّنات متنوّعة ومستويات مختلفة من هذه البنية(...) ونجد مكوّنات أخرى ذات خصائص معجمية محدّدة تؤثّر في التّعليق النّحوي وتتوزّع في مواضع متنوّعة من الجملة ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الإستئناف بمختلف معانيها والأسوار(بعض كلّ، جميع...) وما اتّصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التعليل أو ما تمخّض بوظيفة من الوظائف(قطّ و(أبدا)»**[2] وما يساعد على تحديد وجهة الحجج وترتيبها من الرّوابط فالقيمة «**الحجاجية للملفوظ غير ناتجة فقط عن المعلومات التي تحتويها، بل قد تحتوي الجملة على مورفيمات وتعابير أو صيغ زيادة على محتواها الإخباري تفيد إعطاء توجّه حجاجيّ للملفوظ وحمل المتلقّي إلى وجهة أو أخرى»**[3] حسب ديكرو، مثال ذلك: «**أجد أنّ، أرى أنَّ= JE TROUVE QUE، لكن =MAIS، حتماً= DECIDENET، حسناً= EH BIEN؛ من جانب آخر= DAILLEURS والّتي وظيفتها الأولى خدمة التّوجيه الإحتجاجي للملفوظات»**[4] وقد درس ديكرو هذه الظواهر في إطار تعيين كلمات الخطاب الّتي تتدخّل في العنصر السّببي للملفوظات وهي عوامل تتعامل فيما بينها بطرق مختلفة ومتعدّدة، بحيث يمكن أن نميّز الملفوظات الأقوى حجاجيا، أو لنقُل الفروق الحجاجية الكامنة بينها.

مصطلح الحجاج في القرآن الكريم: ذُكر مصطلح الحجاج عشرين مرة في سبع سور من القرآن الكريم وهي كما أوردها صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة الأنعام، وسورة غافر، وسورة الشورى، وسورة الجاثية، نوردها في الجدول التالي:

---

[1] – عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي: ص 191.

[2] – شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ص 377.

[3] – *نفسه: ص* 363.

[4] – جان سيرفوني: الملفوظية: دراسة و ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص107.

نصّ الآية	رقمها	السّورة
وَإِذَا لَقُواْ الذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ	76	البقرة 1
قُلَ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمُ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ	139	
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِيَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ اِلاَّ الذِينَ ظَلَمُواْ مِنهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	150	
أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِــِّهِ أَنَ ــ اتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبــِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَآ أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	258	
فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلَ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالاُمِّــيِّينَ ءَاَسْلَمْتُمْ فَإِنَ اَسْلَمُواْ فَقَدِ اِهْتَدَواْ وَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرُ ٌ بِالْعِبَادِ	20	آل عمران 2
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن ُ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ	61	
يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالاِنجِيلُ إِلاَّ مِن ُ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ	65	
هَآ انتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُم فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	66	

وَلاَ تُومِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلِ اِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُوتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّــكُمْ قُلِ اِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	73	
وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَآجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ	80	الأنعام 4
وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَآءُ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ	83	
قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(149)	149	
رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا	165	النساء 3
فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعَ اَهْوَآءَهُمْ وَقُلَ ــ امَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمُ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ	15	الشورى 6
وَالذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّــهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ	16	
وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلَ اَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ	47	غافر 5
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَــيِّــنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ايتُوا بِئَابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ	25	الجاثية 7

الحجاج في القرآن الكريم: توفرت في القرآن الكريم مجموعة من المميزات والمعطيات التي جعلت منه خطابا حجاجيا بامتياز، حيث يمكننا الكشف فيه عن جوانب حجاجية مختلفة باختلاف المستويات التي نتعرض لها بالدراسة «**فالمعجم والتّركيب والصورة (...) ليست وحدها المستويات الحاملة للحجاج في القرآن، فالدلالة بصفة عامة والحجاجية منها بصفة خاصة يمكن أن تحصل في مستويات أصغر من المستويات المذكورة مثل حروف المعاني والحروف المقطّعة. وفي مستويات أكبر منها مثل القصة والسورة بأكملها وما ينعقد من شبه بين الآيات المختلفة في السور المختلفة**»[1]. زيادة على هذا فإن كون القرآن خطاب فهو إذن حجاج فالخطاب يقتضي الإقناع والتأثير كما نجد ذلك عند بنفنيست Benveniste فالخطاب في أعم مفاهيمه « **كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع**»[2] يضيف عبد الله صولة قائلا: «**والقرآن فضلا عن كونه خطابا موجّها إلى متلقٍّ فعليٍّ أو محتملٍ، مسرح على ركحه تتحاور الذّوات ويحاجّ بعضها بعضا، فهو تكثر فيه بصفة لافتة للانتباه، حكاية أقوال الكافرين والرد عليها(...) كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على اختلاف أنواعهم. وعموما تمثّل مشتقات مادّة(ق. و. ل)... أعلى نسبة تواتر في القرآن(حوالي 1730 مرّة) بعد نسبة التّواتر الخاصّة باسم الجلالة**»[3]

والمخاطبون في القرآن نوعان اثنان:

*** « نوع يذكر داخل النص وهو بدوره قسمين:**

– قسم معين باسمه ولقبه أو بضمير المخاطب الذي يعينه كخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والكافرين، وبني إسرائيل، وأهل الكتاب، والذين آمنوا... ويمثلون في اصطلاح الحجاجيين(الجمهور الضيق).

– أما القسم الثاني فهو مثل الأول مذكور في القرآن، ولكنه غير محدد، وقد جعل ضمير المخاطب المفرد عادة صورة نحوية لهم من قبيل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم

---

[1] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص56.

[2] – نفسه: ص 56.

[3] – نفسه: ص46.

مُّوسَىٰ بِئَايَاتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَو تَرَىٰٓ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمُ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنَ ــ ايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: 93]

*** النوع الثاني يقع خارج النص القرآني ولا يذكر فيه، ولكنه معني به، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم، وهو ما يقابل في اصطلاح الحجاجيين" الجمهور الكوني»**[1].

ثم إن النص القرآني «**جاء تغييرا لوضع، وحلا لمعضلة، ونبذا للعنف الذي هو عكس الحجاج واستجابة لسؤال أمة»**[2] وهذه الأمور كلها كما يقول عبد الله صولة «**وجوه ذات علاقة بالحجاج (...) فهو يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتب عليه ضرورة تغيير وضع مادي»**[3] يقول سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾**[يوسف: 02] ولما كان القرآن يهدف إلى تغيير وضع، فهو حجاج لا مراء لأن الحجاج عمل الغرض منه تغيير وضع سائد. وفي تدعيم قوله بحجاجية القرآن يقول **الحواس مسعودي «يرجع تأكيدنا على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتقبلين لهذا الخطاب كثرا وهم من مستويات مختلفة. وكذلك فالرافضون له والعازفون عنه كثرا ولهم في غالب الأحيان حججهم-رغم ضعفها- وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة. فقد تقتنع أصناف ولا تقتنع أصناف أخرى»**[4] فحتى نتكلم عن الحجاج لا بد أن يتم تسجيل خلاف حول الموضوع المطروق...

---

[1] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 45.

[2] – الطّاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ص81.

[3] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 46.

[4] – الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم" سورة النمل نموذجا". مجلة اللغة والأدب، العدد 12، جامعة الجزائر، أكتوبر 1997. ص 233.

وتتمثل معجزة محمد صلى الله عليه وسلم، في القرآن الكريم- كما يقول الحواس مسعودي- هذا الكتاب الذي يخاطب به البشر(الناس أجمعين منذ نزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) وذلك لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم والإيمان بالمعتقد الجديد. «**وقد تعددت مظاهر الإقناع في القرآن، فهو إقناع مبني أساسا على اللغة. وبالعودة إلى مضمون الكتاب، وأسباب النزول، يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات(علنية كانت أم ضمنية) فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج (بمستويات مختلفة) المدعمة لهذا الأمر ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج. يعتبر التذكير أيضا من هذا القبيل لأن التذكير لا يكون إلا بواسطة الحجج.**»[1] ولعل أطرف أساليب التذكير وأنجعها وأخفها على الأسماع وأوصلها للرسالة وأسهلها في استنباط الأحكام، وأقدرها على التوجيه، القصص لما فيها من المتعة، والعبر ونحسب أن هذه هي الغاية التي لأجلها تواترت قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فالعبرة من قصصهم أنها دروس للمؤمنين خاصة كونهم أكثر تدبرا لما أتى فيه وللناس عامة فالقرآن أتى لكافة البشر «**فالخطاب القرآني لا يقص قصة إلا ليواجه بها حالة، ولا يقرر حقيقة إلا ليغير بها باطلا(...)إنه يتحرك حركة واقعية حية في وسط واقعي حي، إنه لا يقرر حقائقه للنظر المجرد، ولا يقص قصصه لمجرد الإمتاع الفني**»[2] ولأن الكلام إذا تكرر تقرر، عمد القرآن إلى هذه الآلية من أجل تأكيد أحكامه وتقريرها وترسيخها في الأذهان، حتى غدت سمة من سماته الحجاجية، كما سجل ذلك قبلنا عبد الله صولة.

التكـــــرار وأبعاده الحجاجية في القرآن الكريم: لقد تم الإقرار، ومنذ العصور الأولى، بالتكرار الذي وسم القصص القرآني بصفة عامة، وقصص سيدنا موسى عليه السلام بصفة خاصة وكان لكل واحد ممن اهتم به رأيه في ذلك. ولكن الشيء الذي لا يمكن التغاضي عنه ذلك الدور الحجاجي الذي يلعبه التكرار فقد كان من «**عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل**

[1] – الحوّاس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم" سورة النمل نموذجا": ص 232.

[2] – قدور عمران: تداولية الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، إشراف: مفتاح بن عروس، 2009/2008. ص83.

القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة في عجزهم عن المعارضة وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع(...)»[1] كما أن حقيقة التكرار تكمن في «**إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به**»[2] وتأكيدا لميزة التكرار وفائدته العظمى في الكلام، ذهب البعض إلى «**أن الكلام إذا تكرر تقرر**»[3] فبالتكرار يكتسب الإنسان العادة وتترسخ الأحكام في ذهنه. إضافة إلى هذا فإنّ «**الخطاب القرآني إذ يعود إلى العهود السابقة يستوحي منها قصصا يتلوها متزامنة مع الدعوة الإسلامية فإنه يسعى إلى جعلها مثلا يضرب ويراد بها تغيير الواقع أو إصلاح المعتقد وفي هذا بعد تداولي**»[4] ويطلق على هذا النوع من الحجاج، الحجاج بالمثل.

ولعل من فوائد التكرار، أنه وإن كان من أساليب التوكيد، إلا أنه يدل عليه، ولقد جعل من هذا النوع تكرار القصص القرآني، فالتأكيد «**يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز**»[5] في حين التكرار إذا جاء فإنما يأتي لتقرير المعنى مع زيادة تقرير الحادثة، ومن بين الفوائد التي يمكن الوقوف عليها في هذا المجال – تكرار القصص القرآني– يقول **بدر الدين الزركشي** في كتابه **البرهان في علوم القرآن** إنّ الله سبحانه وتعالى كلما«**كرر القصة زاد فيها شيئا(...) وهذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة(...) ثم إن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون، يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين(...) فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة القوم وزيادة(تأكيد وتبصرة)، لآخرين وهم**

---

[1] – بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مج3. ط2. دار المعرفة. بيروت. ص9.

[2]– الزّركشي: البرهان، مج 3، ص10.

[3] – نفسه: ص10.

[4]– قدّور عمران: تداولية الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص83.

[5] – الزّركشي: البرهان، مج 3، ص11.

الحاضرون(...) على أن في الأمر ما يسلي قلب النبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم، قال تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [هود: 130]»[1] وتثبيت الرأي هو الحجاج في حد ذاته أليست الغاية من الحجاج التأثير في الآخر بإيراد الأدلة المقنعة، والقصة في جانب من جوانبها مثل عن ذلك، خاصة إذا أخذنا القصص القرآني في هذا المقام الذي راعى الله سبحانه وتعالى الأسباب والوقائع في تنزيله، وهو ما يعرف في الدراسات القرآنية بأسباب النزول، زد على ذلك «**أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.**»[2] ولعله كان أيضا حجة عليهم في ذلك الوقت وسيبقى إلى يوم الدين.

كقوله: **﴿وَلَوَ انَّمَا فِي الاَرْضِ مِن شَجَرَةٍ اَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنۢ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمُ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَايَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** [لقمان: 27 - 31]

وظاهرة التكرار من الظواهر اللغوية التي استوقفت الزمخشري طويلا في كشافه، وهو يرى أن الهدف من التكرار تقرير الأمور في العقول «**فكل تكرير جاء في القرآن الكريم فهو مطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره**»[3] فهو كما سبقنا إلى تسجيل ذلك **أحمد جمال العمري** «**لا يغفل الجانب النفسي لأسلوب التكرير**»[4] إذ يقول الزمخشري في تفسيره مثلا

---

[1] – الزّركشي: البرهان، مج ، 3ص 25 (بتصرف).

[2] – نفسه، ص25. 26 (بتصرف).

[3] – الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (467هـ/ 538م): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، ط1، ج1/. دار الكتب العلمية بيروت، 1995م/ 1415ه ص422.

[4] – أحمد جمال العمري: المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ/ 1990م. ص185.

لقوله تعالى ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 39-40] إنّ فائدة التكرير هنا تكمن في «**أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادّكارا واتعاظّا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرّات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم اللهو، ولا تستولي عليهم الغفلة**»[1]

وفي قوله تعالى: ﴿يَآ أَيـــُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَآ أَيـــُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيءِ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: 1-2] فإعادة النّداء عليهم في كلّ مرّة كان «**استدعاء منه لهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم**»[2] ولم يتوقف الزمخشري عند الغاية من تكرار العبارات في القرآن الكريم، بل تعداه إلى سمة أخرى من سمات النص القرآني، المتمثلة في تكرار القصص التي يرى أن لها «**غاية نفسية أرادها الله – عزت قدرته – وجلت حكمته ففي سورة الشعراء تصدر كل قصة بتكذيب كل أمة من الأمم رسولها المبعوث إليها، ثم تختم بأن الله عزيز رحيم(...) فإن قلت: كيف كرر في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور**»[3]. وترسيخا منه للدلالة النفسية وأثرها في السامعين للنص القرآني بصفة عامة، وقصصه خاصة، يقول إنّه لا طريق إلى تحفيظ العلوم إلا ترديد ما يراد حفظه منها، فكلما «**زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر وأبعد في النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان**

[1] – الزّمخشري: الكشاف: ج2، ص422.

[2] – نفسه: ص389.

[3] – نفسه: ص131.

وقر عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا، طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ»[1]

– **تكرار قصص سيدنا موسى عليه السّلام:** إن القرآن الكريم، مليء بالحجج والبراهين، التي تدلّ على قدرة الله عزّ وجلّ «**فالقرآن فضلا عن كونه خطابا موجها إلى متلق فعلي أو محتمل فهو مسرح تتجادل فيه الذوات ويحاج بعضها البعض، فتكثر فيه حكاية أقوال الكافرين والرد عليها في صيغة(يقولون/ قل)كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على اختلافهم**»[2] وهذه الأدلة جاءت إما على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أو على لسان غيره من الأنبياء والمرسلين، الذين ذكرت قصصهم مع أقوامهم في النص القرآني، فمنها ما جاء على لسان سيدنا إبراهيم أو سيدنا لوط، أو عيسى ابن مريم عليهم السلام أو غيرهم ممن ذكر قصصهم مع أممهم... وبين كل هذا يستحوذ قصص سيدنا موسى عليه السلام على الجزء الأكبر منها، حيث تصل نسبة تواتره في هذا الكتاب الحكيم إلى ما يقرب الستين بالمائة 60% من مجمل القصص القرآني. يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: «**وفي القرآن ترداد لذكر الجنة والنار وقصة موسى وهود لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب**»[3] حيث أرجع سبب ذلك إلى أن القرآن موجه لكافة الناس وأكثرهم ساهي القلب، مشغول الفكر بأمور الدنيا... هكذا إذن نرى كيف أن الجاحظ في ذلك الزمان سجل لنا هذه الملاحظة المهمة التي جمع فيها بين ذكر النار والجنة في القرآن بقصص موسى وهود عليهما السلام. والملاحظة الأخرى التي يمكننا أيضا تسجيلها تدور حول تلك الصفات التي جعلها أسبابا في ذلك حسب رأيه ألا وهي قوله أنّ أكثرهم بي، غافل، معاند، مشغول الفكر، ساهي القلب" وكل هذه الصفات لا يخلو منها قوم موسى الذين أخذهم الغباء والغفل إلى أن يصدقوا شخصا منهم يتخذونه إلها يعبدونه ويرضخون له قابلين الذل والاستبداد الذي يمارسه عليهم أما عن

---

[1] – الزّمخشري: الكشاف: ج2، ص132.

[2] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 46.

[3] – أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ(255/150هـ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ/1998م. مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ج 1، ص 105.

المعاندة وانشغال الذهن بأمور الدنيا الفانية وحساباتها اللامتناهية، والسهو عن الحقيقة التي وإن غفلت عنها الرعية وهم غير معذورين في ذلك، فإن أهل السلطة والجبروت المدعين للربوبية والألوهية ليس لهم أن يدّعوا عدم علمها، بل في ادّعائهم علم ومكابرة، علم أن الذي يدعونه ليس لهم حقا، وإن لم يدركوا لمن هو فإنّهم على أقلّ تقدير على دراية أنّه ليس ملكا لهم، ومع ذلك ينسبونه لأنفسهم عنوة، وفي ذلك كلّ العناد والمكابرة... والحجاج هنا حجاج بالمثل «**والأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيم مجتمعية تحظى باهتمام الأفراد، وتستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصور وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي، نظرا لما تحدثه من تماثلات بينها وبين الأهداف من إدراجها وسوقها...**»[1] بهذا يكون الجاحظ قد جمع لنا في عبارة قصيرة خاطفة الحالة النّفسية والوضعيّة الاجتماعيّة لفرعون والملأ من حوله من جهة، وقومه الذين استكبر عليهم واستعبدهم هو وملأه من جهة أخرى، وجعل ذلك سببا في ورود قصص سيدنا موسى بشكل لافت للانتباه، على أنّ ذلك كما جاء في الاستشهاد من صفات الأمم والمجتمعات الّتي أُنزِل إليها القرآن هدى إلى يوم الدين.

ولئن كان الجاحظ قد نحى هذا المنحى في ذكره سبب تواتر قصة سيدنا موسى عليه السلام في هذا الكتاب العزيز بهذا الشكل اللافت للانتباه، فإن **الشّعراوي** يرى أنّ «**أكبر القصص في القرآن الكريم، قصّة موسى عليه السلام**»[2] لا خلاف فيه لكن في تفسيره للسبب ذهب منحى آخر، فإذا كان الجاحظ قد أرجع السبب في ذلك إلى طبيعة البشر من بعد نزول النص الكريم حتى يعتبروا ويتعظوا﴿ **فَذَكِّرِ اِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَّخْشَىٰ**﴾[الأعلى: 9-10] أي على اعتبار ما سيكون، فإن الشعراوي اهتم في تفسيره بطبيعة قوم موسى عليه السلام الذين بعث إليهم، ففي نظره أنه إذا تواترت قصة هذا النبي الكريم بهذا الشكل في القرآن فلأن «**أحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في التاريخ**»[3] معتبرا بذلك ما كان في سالف من الزمن. ومع ذلك فإننا لا نخطئ رأيا منهما لحساب الآخر فالقصة إنما كثر ورودها

[1] – قدور عمران: تداولية الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص 53.

[2] – الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج1. ص237.

[3] – نفسه: ص237.

للسببين معا، فالله سبحنه وتعالى «**خص قصة إرسال موسى لما تحتوي عليه من الحوادث العظيمة والأنباء القيمة ولأن رسالته جاءت بأعظم شريعة بين يدي شريعة الإسلام. وأرسل رسولها هاديا وشارعا وتمهيدا لشريعة تأتي لأمّة أعظم منها تكون بعدها. وأن حال من أرسل إليهم أشبه بحال من أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا فريقين كثيرين اتبع أحدهم موسى وكفر به الآخر**»[1]

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 10، ص 33.

الخاتمـــة

الخاتمة:

بعد الفراغ من البحث أمكننا التوصل إلى مجموعة من النتائج منها ما يتعلق بالنص القرآني عامة ومنها ما له علاقة مباشرة بالقصص القرآني وحجاجيته، كما أن لنا مجموعة من الملاحظات التي لها علاقة بالموروث اللغوي الكبير.

النتائج:

أثبتت الدراسات التّداوليّة الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وأثبتت لا زمانيته ولا مكانيته، فالقرآن الكريم كتاب حجاجي بالدرجة الأولى، يكفي أنه جاء تغييرا لوضع سائد، وتبديلا لمنهج وسير أمة بعينها في بداية الأمر، ومن بعدها فتح العالم بأسره.

يمثّل القصص في القرآن الكريم آلية حجاجيّة، فقد ساقه الله سبحانه وتعالى على الرّسول محمّد صلى الله عليه وسلّم، ليسلّيه، وليثبّت به فؤاده، وليواجه به قوما طالما جابهوا الدّعوة المحمّديّة، علّهم ينتبهون إلى الخطر الذي يحيط بهم إن هم واصلوا في ذلك الطّريق، إذ كانت نتيجة المعادين للرسل قبلهم أن يحيط بهم العذاب الأليم.

إن نسبة تواتر قصص سيدنا موسى عليه السلام في النص القرآني والتي تقرب الستين بالمائة، كانت لغاية حجاجية، وذلك لأنّ النبيين الكريمين لقيا نفس المواجهة من القوم الذين بعثا إليهم في دعوتهما بالتالي فسوق قصص سيدنا موسى مع قومه على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكون عليهم حجة منذ البداية، وبالعودة إلى أسباب النزول يتأكد هذا الأمر.

لاحظنا أن المرسل إليه في الفصل الأوّل من البحث واحد لا يتعداه إلى غيره، ولم تكن تربطه بسيّدنا موسى عليه السلام علاقة مسبقة، وهو (المخاطِب) طرف مهيمن على سيّدنا موسى عليه السلام، ومع ذلك سجّلنا نوعا من التّقارب بينهما.

تعرضنا في النّموذج الأوّل إلى حجاج سيّدنا موسى عليه السلام مع الله سبحانه وتعالى في موقف التكليف بالواد المقدّس، حيث لاحظنا أنّ العلاقة كانت من جهة واحدة في بداية الخطاب إذ كان الله عزّ وجل عالما بكل شيء، وراعيا لسيّدنا موسى عليه السّلام، ومقدّرا لكل الأمور التي تحدث، في حين سيّدنا موسى عليه السّلام، كان يجهل وجود الله إذ تربى في مجتمع تسلّط عليه فرعون الذي بلغ به الأمر أن حشر كل النّاس مناديا فيهم "**أنا**

ربكم الأعلى" واتخذ لنفسه وقومه آلهة يعبدونها من دون الخالق سبحانه وتعالى **يذرك وآلهتك**، وقد فرض هذا الوضع إستراتيجية خطابية تضامنيّة، من قبل الله، على مستوى العلاقة الأفقية، في حين سجّلنا على المحور العمودي للعلاقة هيمنة تامّة لله سبحانه وتعالى على العملية الخطابيّة

ومن جهته سيّدنا موسى عليه السلام سجّلنا رغبة كبيرة في التقرّب من الله سبحانه وتعالى فيما يخص المحور الأفقي للخطاب، أما على المستوى المحور العمودي فتربطه بالله عزّ وجلّ علاقة العبد والرسول المختار بربّه ودليل ذلك إخلاصه النية للعمل المطلوب منه وعقد العزم على تنفيذه، وقبول أوامر الله، وإظهار الرغبة في تبليغ الرّسالة على أكمل وجه، مع الثقة الكاملة في الله عزّ وجلّ وقدرته على حمايته.

وحين انتقلنا إلى النّموذج الثّاني، الخاص بحجاجه مع العبد الصّالح سجّلنا:

- عدم توفّر العلاقة المسبقة بينهما.
- كما سجّلنا نوعا من الهيمنة للعبد الصّالح على سيّدنا موسى عليه السّلام في النّص القرآني، فقد أظهر الله سبحانه وتعالى الرّجل الصّالح على أمور غيبية، وعلّمه من لدنه علما، لم يعلّمه لسيّدنا موسى الذي كان يحكم على الأمور بظواهرها، فكانت الحجّة دائما للعبد الصّالح على سيّدنا موسى عليه السّلام.
- كما سجّلنا نوعا من التّقارب بينهما جسّدته إستراتيجيّتهما في إضافة الضّمائر.

أما الفصل الثّاني من البحث الذي وسمناه بالحجاج التّنازعي فقد سجلنا فيه تعدّدا في الأطراف المتحاججة، مع وجود نوع من العلاقة بينها جميعا، عدا السّامري، ولكن في هذا الفصل كانت الهيمنة لسيّدنا موسى عليه السّلام على الأطراف الأخرى في كلا النّموذجين.

وقفنا في النّموذج الخاصّ بحجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون على وجود أطراف أخرى تنازعت العمليّة الحجاجيّة منها الملأ، والسّحرة ولأنّ موقف السّحرة كان أكثر بروزا في النّص القرآني، ركّزنا عليه في التّحليل إضافة إلى سيّدنا موسى وفرعون.

وفي النّموذج الأخير الذي خصّصناه لحجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع قومه تنازع العمليّة الحجاجيّة في هذه القصّة أربعة أصوات، هي على التّوالي، صوت النّبيّين الكريمين موسى وأخوه هارون عليهما السّلام، إضافة إلى القوم وأخيرا السّامري.

لقد استعنّا في تحليل النّماذج المختارة مجموعة من الآليات أهمّها:

- وجود علاقة بين الأطراف المتحاججة أو عدمها، ونوعها.
- إستراتيجية اختيار الضمائر، وإضافتها في الخطاب الموجه للآخر.
- نوع الحجج المعتمدة في الخطابات المختلفة.
- كما ساعدتنا أيضا آلية السلالم الحجاجية، في تبيين أهمية ترتيب الحجج، في إيصال الفكرة للآخر، وترسيخها في أذهانهم.
- إضافة إلى دور الروابط الحجاجية في توجيه الخطاب وجهة دون أخرى.

ملاحظات خاصّة بالموروث اللّغوي والدّيني:

مثلت لغة القرآن الكريم وجها من وجوه إعجازه، فقد شكلت في البدايات الأولى لنزوله حجة على القوم الذين عرفوا بالبلاغة والفصاحة اللغوية وتحداهم القرآن أن يأتوا بآية من مثله واليوم بعد مضي قرون عدة فإنه يطل علينا بإعجازه، ويثبته علينا ويشكل تحديا كبيرا لنا أهل لغة الضاد، أمة خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يمثل القصص القرآني دعامة أساسية، ساعدت وساهمت في إرساء الدعوة، وواجهت الكافرين الرافضين لهذا الدّين الجديد، ويمكننا في هذا المقام الحديث عن حجاجية هذا القصص من الزوايا التالية:

حديثه عن الأمور الغيبية، سواء ما تعلق منها بقصص الأنبياء والمرسلين، أو ما يحدث في زمن لاحق كحديثه عن قيام الساعة، ويوم الحشر والحساب وأمور أخرى كثيرة.

يحفظ القصص القرآني جانبا كبيرا من جوانب تاريخ البشرية، إذ يروي لنا الله سبحانه وتعالى تاريخ البشرية منذ اللحظة التي أخبر فيها الملائكة بأنه سيخلق خليفة في الأرض، وحجاجها(الملائكة) له سبحانه وتعالى ومعه أيضا قصة إبليس وغوايته لآدم وزوجه حتى أخرجهما الله عزّ وجلّ من الجنة... وهكذا تتتابع قاطرات الأنبياء والمرسلين فيه بعد ذلك مع أممهم، مع إثبات كيف كانت العاقبة في كل مرة جزاء وعقابا.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ اَنبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُـــثَـــبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ(120) ﴾سورة هود

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(3)﴾ سورة سوسف

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن اِلَهٍ اِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(62) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِالْمُفْسِدِينَ(63) قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ اِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(64)﴾ سورة آل عمران

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الاَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثَ اَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّالِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(176) سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ(177) مَنْ يَّهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُّضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(178) ﴾سورة الأعراف

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنَ اَهْلِ الْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الاَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الاَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلذِينَ اتَّقَوَا اَفَلاَ تَعْقِلُونَ(109) حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُـــوا جَآءَهُمْ نَصْرُنَـــا فَنُنجِي مَن نَّشَآءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ(110) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الاَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُومِنُونَ(111) ﴾سورة يوسف

والخطاب في هذه الآيات موجه إلى سيد الخلق، وخاتم النبيين والمرسلين، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والحجاج كما رأينا هو ما يسوقه المرسل من الأدلة والحجج لجعل المرسل إليه يذعن ويستسلم ويتقبل الأمر المطروح عليه إن هما اختلفا في وجهات النظر. أو يزيد في حدة هذا التسليم والإذعان إن كانا متفقان منذ البداية في موضوع الحديث

كما كشف لنا البحث الستار على المكانة الهامة التي تحتلها الدراسات التراثية القديمة اللغوية عامة والقرآنية منها خاصة. إذ تطالعنا(هذه الدراسات) في هذا المقام ببعض الآليات الحجاجية التي تم الحديث عنها مؤخرا في الدراسات الغربية، التي أبهرت الكل خاصة ما تعلق منها بالحجاج اللغوي، الذي يرمي إلى الإقناع عن طريق اللغة وحدها مثل:

بناء الجملة كالتقديم والتأخير، والإخبار بالاسم أو الفعل والفرق بينهما، وتكرار عنصر معين من عناصر الجملة بدل غيره والغرض من ذلك والذي يدخل في الأفعال الكلامية.

التدرج في تقديم الحجج وبناء الأفكار وهو ما يعرف في الدراسات الحديثة بالسلالم الحجاجية والأقسام الحجاجية..

الاعتناء بحروف الربط وحسن اختيارها من أجل توجيه الكلام الوجهة الصحيحة التي يرومها المتكلم منذ البداية، وهو ما يعرف في الدراسات الحجاجية الحديثة بالروابط الحجاجية أو العوامل الحجاجية.

وفي الأخير أنوه بضرورة إعادة الاعتبار للموروث اللغوي، والاستفادة منه قدر الإمكان، وذلك بتعليمه للناشئة، وتمكينهم من فهمه واستيعابه، فكتب مثل كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، أو الكشاف للزمخشري(وهي كتب في تفسير القرآن). على سبيل التمثيل لا الحصر قد أثبتت قدرة أصحابها وسبقهم في هذا المجال، فقد وجدنا فيها الكثير من النكت اللغوية التي لم نولها الاهتمام الخاص بها، إلا بعدما أتتنا بها الدراسات الغربية التي توصلت إليها مؤخرا فقط...

ونرجو من المعنيين الاهتمام بهذا الزخم التراثي الضخم، وتمكين الطلبة والأساتذة منه على حد سواء، ولاسيّما المختصين منهم في المجال من الحصول عليها، وذلك بمحاولة توفيرها في المدارس والجامعات... خاصة وأن خدمة الأنترنيت اليوم تفتح علينا أبوابها وتسهل لنا الكثير من الأمور فما كان يشترى بالملايين، وما لم يكن يقدر عليه إلا المؤسسات وفئة محدودة معينة في المجتمع، يمكن توفيره اليوم للجميع مجانا أو بثمن بخس جدا...

ولا أدعي الكمال لهذا العمل فلكل عمل إذا ما تم نقصان، ويبقى الكمال لله وحده تبارك وتعالى شأنه، وحسبنا في هذا أجر الاجتهاد.

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا العمل خالصا لخدمة النص القرآني، ولنا بعد ذلك الشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجازه من أساتذة وزملاء ، إلى أن استوى على هذا الشكل.

الفصـــل الأوّل

الحجـــاج التّواصـــلي

البعد التّواصلي في الخطاب القرآني.

حجاج سيّدنا موسى مع الله سبحانه وتعالى.

حجاج سيّدنا موسى مع الرّجل الصّالح.

البعد التّواصلي في الخطاب القرآني: عمل عبد القاهر الجرجاني على صهر فروع علم اللّغة في قالب واحد، حتّى تؤدّي اللّغة وظيفتها الأساسيّة، والمتمثّلة في التّواصل، وذلك في خطاب حيّ متجدّد يبلّغ المقصد ويخفّ على السّمع وينبو عن اللّحن، إذ ينبغي على المتكلّم في بدء أمره ونهايته أن يُفهم السّامع ما يريده، وأن يُلزمه به إن كان له موقف مخالف لمضمون الخطاب، ويجعل الجرجاني ذلك مرهونا بقدرة المتكلّمين على كشف ما في ضمائرهم وإيصاله للمتلقّين، حيث يرى أنّ مدار تحقيق الغاية من وراء القول على «**البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكلّ ما شاكل ذلك، مما يعبّر به عن فضل بعض القائلين من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السّامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلّموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم، ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها(...) غير أن يُؤتي المعنى من الجهة الّتي هي أصحّ لتأديته، ويختار له اللّفظ الّذي هو أخصّ به(...)وأتمّ له**»[1] إنّ عبد القاهر الجرجاني يركّز فيما يركّز، على تحليل الخطاب الأدبي الرّفيع(شعرا ونثرا)مع التركيز أكثر على النّثر لأنّ المقصد الأوّل من تحليل الخطاب الأدبي الرفيع، هو إثبات خصائص الخطاب القرآني، فهو(الخطاب الأدبي الرفيع)الذي يتميّز عامّة بنقاء اللّفظ، وسداد النّظم، وحسن الإبانة، حيث يستعمل المتكلّم جميع طاقاته التّواصلية لبلوغ مرماه وهدفه عند السّامع، وعلى هذا النّحو يقتضي القرآن باعتباره خطابا حجاجيّا بين باثٍّ ومتلقٍ ظروف قول مخصوصة، واختيارات دقيقة تلائم وضع المتلقّي، وتستجيب لأفق انتظاره، وتنسجم مع ظروف القول وملابساته، وذلك يدعونا إلى الخوض في شأن هذه الاختيارات، والبحث في وسائل الاستمالة والتّأثير، الّتي ترفد الحجج والعلاقات الحجاجيّة، فتضمن للخطاب تحقيق غايته، وللمرسِل قدرته على الفعل في المرسَل إليه، باقتحام عالمه، والنّفاذ إلى مناطقه، وتحويل آرائه وتغيير سلوكه.

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق التّنجي، ط1، دار الكتب العربيّة، لبنان، 2005، ص 38.

1- حجاج الله سبحانه وتعالى مع سيّدنا موسى عليه السلام:

العلاقة التخاطبية وبعدها الحجاجي:

يمثّل تكليم الله سبحانه وتعالى سيّدنا موسى عليه السّلام بالواد المقّدس، البدايات الأولى للموقف الحجاجيّ الّذي دار بينهما، وقد سجّل لنا القرآن الكريم ذلك الموقف في عدّة سور لأنّ قصّة -كليم الله- سيّدنا موسى عليه السّلام، كما أسلفنا الذّكر، تكرّر ذكرها في سور عدّة يكمّل بعضها بعضا، يعطينا في السّورة جانبا ويتمّم معناها في غيرها، وسنحاول فيما يلي أن نتعرّض للموقف الحجاجيّ الّذي كان بينه وبين الله سبحانه وتعالى بالدّراسة والتّحليل، نبدأ بالمقام أو الأوضاع الخارجيّة المحيطة بفعل الحجاج، من زمان ومكان، أو السّياق العام الّذي جرى فيه الحجاج، ثمّ نشير إلى نوع العلاقة الّتي تجمع بين طرفي العمليّة الحجاجيّة، وبعده نتطرّق إلى قواعد التّخاطب المتبناة من كل جانب تجسيدا لهذه العلاقة أو تلك، أو خلقا وفرضا لها إن لم تكن موجودة من قبل. ومثال ذلك في مدوّنتنا البدايات الأولى للحجاج بين الله سبحانه وتعالى حين كلّم عبده ورسوله سيّدنا موسى عليه الصّلاة والسّلام.

زمان الخطاب ومكانه: يمثّل الزّمان والمكان السّياق العام الذي يجري فيه الخطاب، ولا يخفى ما للسّياق العام من تأثير في سوق الحديث، وصياغته، كما يساعدنا في الكشف عن جانب من جوانبه عن مكانة المتخاطبين بعضهم من بعض فالحديث عن الزّمان والمكان مرتبط «**بالحديث عن علاقة المخاطب بالوضعية التواصليّة، وبالسّياق الّذي يجري فيه الخطاب وله علاقة مباشرة بلحظة بداية الخطاب ونهايته**»[1] ولتحديد الوضعيّة التّخاطبيّة لحجاج الله سبحانه وتعالى مع سيّدنا موسى عليه السّلام، نعود إلى كلام العليم الخبير الّذي قصّه علينا في كتابه العزيز الحكيم، أين نجد قوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الاَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الاَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَّا مُوسَىٰٓ إِنِّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[القصص: 29-30]

[1] – ذهبية حمو الحاج: لسانيات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتّوزيع، 2005، ص 155.

– وقوله: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا سَئَاتِيكُم مِّـــنْهَا بِخَبَرٍ اَوَ اٰتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النـــمل: 7-8]

–وقــوله: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيئًا. وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الاَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيئًا**﴾[مريم:51-53]

– ويعطينا جانبا آخر في قوله: ﴿**وَهَلَ اَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ. إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ اِمْكُثُواْ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّيَ ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ اَوَ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ. إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ**﴾[طه: 9- 12]

وغيرها من الآيات البيّنات التي تعطينا القدرة على تصوّر الزّمان والمكان. وهي في مجملها تساعدنا على التّوصّل لتحديد الصّورة بوضوح، فالزّمن كان ليلا شديد الظّلمة، شديد البرد تاه فيه سيّدنا موسى ومعه أهله، وهو في طريق العودة إلى مصر بعد أن قضى عشر سنين بعيدا عنها في مدين. والمكان كان بالقرب من واد طوى وبالذّات على الجانب الأيمن. وهي ظروف قدّرها الله سبحانه وتعالى لنبيّه تسوقه إليه **لقوله تعالى:** ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَّكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تقرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ**﴾[طه: 40]

ولقد حدّد الله سبحانه وتعالى المكان الّذي كلّم فيه سيّدنا موسى بقوله: ﴿**إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ**﴾[طه: 12] و(المقدّس)كما يقول ابن عاشور «**المطهّر والمنزّه(...) وتقديس الأمكنة يكون بما حلّ فيها من الأمور المعظّمة، وهو هنا حلول الكلام الموجّه من قبل الله تعالى**»[1] والله العليم القدير يصف الواد بالمقدّس، وصفة القداسة هذه أعطت «**للواد سمة دلاليّة إيجابيّة فقد امتلأ المكان بقيمة روحيّة عالية وهي القداسة. ولهذا الامتلاء بعد حجاجيّ هامّ، فهو يجعل الواد مناطا لتبليغ قيمة روحيّة كبيرة، وهي**

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص197.

الوحي(كلام الله) لسيّدنا موسى عليه السّلام»[1] وفي تعريف الله سبحانه وتعالى للواد بالمقدّس بعد حجاجي «**يتجلّى فيما يصحبه من أفعال بدءا بخلع النّعلين إلى الاستماع للوحي، فهو عنصر هامّ من العناصر المسوّغة لتلقي قيمة الوحي، ومن العناصر الّتي تجعل سيّدنا موسى مقتنعا بالخصوصيّة القيميّة للوحي الواجب تبليغه، فالوحي يضفي على المكان القداسة لأنّه يحملها أولا في ذاته واقتناع سيّدنا موسى بقداسة الوحي(...) يتأتّى بما يتشرّبه في المكان (في الواد)**»[2] المقدّس والمبارك من قيم روحيّة عالية يستمدّها من الوحي الّذي يتنزّل عليه في تلك اللّحظات المباركة، وفي تلك البقعة المباركة، في ذلك الواد المقدّس.

العلاقة التّخاطبيّة في الخطاب: تتحكّم في إنتاج الخطاب مجموعة من الأمور، لعلّ أهمّها معيار العلاقة بين أطراف الخطاب، والسّياق العام الّذي يجري فيه الحديث، وهو ما ينعكس بشكل واضح وجليّ في الإستراتيجيّة الّتي يتبنّاها المتخاطبان، لأنّ تبنّي المخاطِب لإستراتيجيّة معيّنة دون غيرها «**يتعلّق بالسّياق في عموميّته، أي يتعلّق بالمتخاطبين(...) وبعلاقتهما داخل السّياق، بل ويتعلّق بما هو خارج السّياق، أي يتعلّق بما يعرفه(صاحب الخطاب) المخاطِب عن الآخر(المتلقي) وما يعرفه المتخاطبان عن المقام وعمّا يريدان قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامّة، المدى الّذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب**»[3] والعلاقة بين المخاطبين يمكن أن ندرسها على مستويين المستوى الأفقي والمستوى العمودي.

– **العلاقة الأفقية:** تتجلّى العلاقة الأفقيّة بين طرفي الخطاب في أكثر من خصّيصة، منها مثلا: «**خصائص الدّين(مسلم، مسيحي)، خصائص الجنس(الذّكورة أو الأنوثة)، خصائص السّن(صغار كبار، شيوخ)، خصائص المهنة(أساتذة، طلاّب ضبّاط أفراد، عمّال)، خصائص عرقيّة(عرب)، خصّيصة الجنسيّة(سعودي، سوري، خليجي)، خصائص الحالة الاجتماعيّة**

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم – خطاب بعض الأنبياء نموذجا – رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2006 /2007، ص 142.

[2] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم: ص 143.

[3] – ذهبية حمو الحاج: لسانيات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب، ص 88.

ومنها الحالة المعيشيّة(عزّاب، متزوّجون، أيتام، فقراء أغنياء)»[1] وسنحاول البحث عن هذه الخصائص في سبيل تسهيل دراسة العلاقة الأفقية بين طرفي الخطاب.

– **علاقة التّقارب بين الله عزّ وجلّ وعبده وكليمه موسى عليه السّلام:** قبل البدء في تحليل العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وعبده ورسوله الكليم موسى عليه السّلام لابدّ من التّذكير أنّ سيّدنا موسى عليه السّلام لم تكن له فكرة عن مرسل الرّسالة الّذي يكلّمه، لأنّه عليه السّلام كان في مجتمع تسلّط عليه وعلى أهله عدوّ الله فرعون الطّاغية، الّذي ادّعى أنّه رب النّاس الأعلى، ولم يكن لهم علم بالله الواحد القهّار، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى. فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الاَعْلَى**﴾[النازعات:22-24] لأنّه(فرعون)جعل لهم آلهة يعبدونها ويعكفون عليها ويتقرّبون إليه بعبادتها ﴿**وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الاَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾[الأعراف: 127]

والعلاقة بين طرفي الخطاب إذا لم تكن موجودة سلفا «**فإنّ المرسِل يسعى إلى إيجادها بخطابه، فقد يكون إقامة علاقة بين طرفي الخطاب، هو الهدف الرّئيس من الخطاب وهذا ما يبرّر إعطاءه كثيرا من الاهتمام**»[2] لأنّه يسهم وبقدر كبير في اختيار الإستراتيجية الكفيلة بخلقها ورسم حدودها، ومكانة أطرافها والعلاقة الّتي تربطهم، وتؤدي اللّغة دروا كبيرا في بناء العلاقة في هذا المستوى.ولهذا رسم الله العليم الخبير بعباده، إستراتيجية تيسّر له بناء علاقة مع كليمه سيّدنا موسى عليه السّلام.

لقد حظي سيّدنا موسى عند الله عزّ وجلّ بمكانة مخصوصة جدّا، بأن جعله كليمه ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النّساء:164] دون غيره من الأنبياء والمرسلين، ويمكننا الاستدلال على هذه المكانة من النّص القرآنيّ بعدّة آيات بيّنات نذكر منها قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى**﴾[طه:11] ففي هذه الآية «**تخصيص من الله "لسيّدنا موسى دون غيره من الأنبياء**

---

[1] – نفسه: ص 80.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 88.

جميعا بالنّداء، إذ الغالب أنّ الأنبياء هم الّذين يتوجّهون بالدّعاء لله»[1] وذلك مثل قوله تعالى ذاكرا موقف عبده زكرياء وهو يدعوه: ﴿**كٓهيعٓصٓ. ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآءَ. إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا. قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾[مريم:1-4]

وقوله تعالى كذلك، ذاكرا لسيّدنا نوح عليه السلام: ﴿**وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾[هود: 45]

ثم إنّ مخاطبة الله عز وجلّ لسيّدنا موسى عليه السلام باسمه مباشرة تكرّر في مواقف عديدة وحسب قواعد اللّغة العربيّة هناك بعض السّياقات التي ما كان يجب أن يتمّ التّصريح فيها بذكر الاسم(المنادى) ومنها مثلا قوله تعالى:

1- ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه:17]

2- ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَىٰ**﴾[طه:19]

3- ﴿**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه:36]

فصيغة الكلام كما جاء في هذه الآيات البيّنات من سورة طه، لا تقتضي ذكر المخاطب، وإنّما جاء ذكر اسم سيّدنا موسى منادى فيها بهذا الشّكل للتّنويه والتّأكيد على «**منزلته المخصوصة عند ربّه**»[2] والنّداء عند **سيبويه** فيما يرى **خالد ميلاد** يأتي «**بمنزلة حرف الخطاب، وهو صوت للتنبيه، وهو إمّا أن يفيد تخصيص المخاطب بالكلام الّذي يأتي بعد التّنبيه لجعله معنيّا به دون غيره، وإمّا أن يفيد توكيد المخاطب في حال كون المخاطب يعلم أنّه المعنيّ بالكلام، ولكنّ في ندائه زيادة تنبيه وتوكيد وإثارة، وربما كان ذلك رغبة من المتكلّم في إقناع المخاطب بما سيُعلمه من الكلام**»[3] ونداؤه سبحانه وتعالى سيّدنا موسى في هذه الآيات فيه زيادة توكيد ومن ثمّ إقناع بما كان يوحى إليه لأنّ سيّدنا موسى عليه السّلام كان يعلم أنّه هو وحده المنادى، ثمّ إنّ الموقف موقف إيناس من الله سبحانه وتعالى لسيّدنا

---

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص 143.

[2] – نفسه: ص 144.

[3] – خالد ميلاد: الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة –دراسة تداولية–، ط1، جامعة منوبة كلية الآداب منوبة/ المؤسسة العربية للتوزيع، تونس:1421هـ/ 2001م. ص 163.

موسى عليه السّلام وأنت إذا كنت مع شخص عزيز عليك يأتي ذكر اسمه على لسانك مستحبّا وخفيفا، وسيّدنا موسى عليه السّلام هو من قال فيه الله سبحانه وتعالى:

-1- ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[الشعراء: 52]

-2- ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف: 144]

-3- ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ﴾[طـــــــه: 41]

-4- ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾[طـــــــه: 39]

-5- ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ﴾[طـــــــه: 39]

وهذا كلّه يثبت كما قلنا تخصيص الله سبحانه وتعالى، عبده ورسوله سيّدنا موسى بعلاقة خاصّة جدّا، فقد اصطفاه بالتّكليم، وبأمر الرّسالة، وأحاطه بالرّعاية وقرّبه منه نجيّا، وتمثل العلاقات بمختلف أشكالها أحد مؤشّرات العلاقة الأفقيّة.

ولعلّ ما يؤكّد القول بعلاقة القرب بين الله سبحانه وتعالى وعبده ورسوله سيّدنا موسى عليه السّـــــلام أكـــــثر موضـــوع الرّسالة الّتي لأجلها اختـــاره الله عـــزّ وجـــلّ، وجعـــله من المـــــرسلين ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[طه:13]

وقوله تعالى: **﴿قَالَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾**[الأعراف:144]

وقوله عزّ وجلّ: **﴿اِذْهَبِ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾**[طه:24]

فالله سبحانه وتعالى اختار سيّدنا موسى واصطفاه بتكليمه عن باقي الأنبياء والمرسلين واصطفاه على أهل زمانه بالرّسالة الّتي أمره بتبليغها لفرعون الطّاغية «**وفي هذا الاختيار ارتقاء بسيّدنا موسى إلى مصاف النّبوّة ومن ثمّ تقريب له من الله**»[1] والله أعلم حيث يجعل رسالاته وفي هذا يقول الحق: **﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّومِنَ حَتَّىٰ نُوتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ سَيُصِيبُ الذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾**[الأنعام: 124]

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص144.

كما أنّ طول خطابه عزّ وجلّ، الموجّه إلى سيّدنا موسى عليه السلام،، يؤكّد ما ذهبنا إليه فطول المقدّمات الّتي سبقت أمر الله سيّدنا موسى بالذّهاب إلى فرعون، بدءا بالسّؤال عن ماهية العصا، إلى تأييده بالآيات، إلى تذكيره بمننه عليه منذ الولادة ثمّ تفصيله ذكر المنن كلّ هذا «**مؤذّن بحصول مكانة مخصوصة لسيّدنا موسى عند ربّه**»[1] والله سبحانه وتعالى ألقى على سيّدنا موسى في هذا المقام مجموعة من الأوامر وهي كما يلي:

1-﴿**إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ**﴾[طه: 12]

2-﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ**﴾[طه: 13]

3-﴿**إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ**﴾[طه: 14]

4-﴿**اِذْهَبِ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[طه: 24]

5-﴿**اَذْهَبَ اَنتَ وَأَخُوكَ بِئَايَتِي وَلاَ تَنيَا فِي ذِكْرِيَ**﴾[طه:42]

6- ﴿**اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّـيِّـنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ [طه: 43-44]

7- ﴿**فَاتِيَاهُ فَقُولآَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ**﴾[طه: 47]

والملاحظ أنّ هذه الأوامر جاءت كلّها «**مسبوقة بصيغ في منتهى الرّفق والرّحمة، بسيّدنا موسى عليه السلام، فقبل أن يأمر الحقّ عبده ورسوله الكريم، موسى عليه السّلام بخلع نعليه، أخبره بأنّه الله الّذي لا إله إلاّ هو الواحد الأحد المستحق للعبادة** »[2] وذلك في قوله تعالى مخبرا لكليمه ونبيّه عليه السّلام: ﴿**إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ**﴾[طه: 14] «**وهذا لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه**»[3] لأنّ المخاطِب(الله سبحانه وتعالى) لم يكن حاضرا أمام سيّدنا موسى عليه السّلام وقت إنتاج الخطاب، ولا سبق لسيّدنا موسى عليه السّلام عهد بلقائه.

---

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص144.

[2] – ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج16، ص196.

[3] – نفسه.

– ثمّ سبق الأمر بالاستماع في قوله ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ**﴾[طه: 13] الّذي يفيد قمة الهيبة بقوله ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**﴾ الّذي يفيد قمة اللّطف والرّحمة والتّشريف.

– وفي قوله مستفهما ومستفسرا عما بيده ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه: 17] «**انتقال من كلام الإلهيّة إلى كلام البشريّة**»[1] وهو خطاب إيناس لموسى من الله سبحانه وتعالى مراعاة لجانب البشريّة فيه، وهذا كله «**تأكيد لحظوته بمرتبة مخصوصة لدى ربّه، ولعلّ هذا الانتقال يؤكّد أهميّة اللّغة في تقريب الآخر منّا. ثمّ إنّه تعالى منّ على سيّدنا موسى تذكيرا له بما حظي به من مكانة مميّزة عنده**»[2] وكان ذلك تأكيدا منه جلّ شأنه للرّعاية الّتي أحاطه بها منذ البداية، يقول عزّ من قائل في سورة طه: ﴿**قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرَىٰٓ. إِذَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ. أَنِ اِقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَّكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تقرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ. اَذْهَبَ اَنتَ وَأَخُوكَ بِئَايَتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِيَ**﴾ [طه:36-42]

ومقام الامتنان الّذي خصّ به الله سبحانه وتعالى سيّدنا موسى عليه السّلام، والّذي ذكّره به في هذا المقام الشّريف، ولغته التي صاغها بها، يفيضان بمعاني الحبّ والرّحمة واللّطف، والرّأفة وتبلغ الأمور ذروتها في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ**﴾[طه: 39]

– **استجابة الدّعاء:** حين كلّف الله سبحانه وتعالى سيّدنا موسى عليه السّلام بالذّهاب إلى فرعون الطّاغية، دعاه سيّدنا موسى عليه السّلام بمجموعة من الأمور، بكلّ وضوح ودون أيّ تردّد، وكان رد الله السّميع المجيب، أن استجاب له مباشرة وحقّق له كل طلباته، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه: 36]

---

[1] – محمد الرازي فخر الدين (544هـ/604هـ): تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج16، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان– بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م، ص206.

[2] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص145.

وفي مقام آخر بعدما استجاب الله لسيّدنا موسى عليه السّلام، وشدّ أزره بأخيه هارون عليهما السّلام، دعياه معا، فأجابهما أيضا بالقبول بقوله:

- ﴿**قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[يونس: 89]

- ﴿**قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه: 46]

- **التّدرّج في إلقاء الخطاب:** تدرّج الله في إلقاء خطابه على سيّدنا موسى عليه السّلام، فكان أوّل شيء فعله أن ناداه باسمه العلم الخاص به في قوله(يا موسى) «**وهذا معناه أنّ الّذي يناديه يعرفه جيّدا**»[1] وما دام المنادي يعرفه فلعلّ هذا يجعل نفسه تطمئن له مع أنّه من جهته، كان يجهل كليا من يكون مخاطبه.

وكان ثاني شيء أن أخبره عن نفسه بقوله(أنا ربّك) وذلك ليتعرّف سيّدنا موسى عليه السّلام على مخاطِبه فيزداد اطمئنانا، وترتاح نفسه وتصفو من الهواجس الّتي علقت بها ولم يقل له منذ البداية أنّه الله «**لأنّ كلمة الله مطلوبُها عبادة وتكليف، لأنّ الله مطاع فيما يأمر لكن الرّبّ عطّاء حتى للكافر فخاطبه بصفة الرّبّ الّذي يتولّى التّربية**»[2] وهو خطاب إيناس كذلك من الله العليم الخبير لشخص موسى عليه السّلام وحتى لا تتشتّت أفكار سيّدنا موسى في البحث عن ماهية هذا الرب ومن يكون، أخبره بقوله(أنا ربّك) أي أنّني أنا الذي يكلّمك أكون ربك، ذلك أنّه في تلك الفترة مثلا، كان فرعون قد استعبد قوما، وادّعى أنّه ربّهم الأعلى، بالتّالي قد يتخيّل أو قد يتبادر إلى ذهن سيّدنا موسى أنّ الذي يخاطبه هو سيّد العباد، وربّهم في هذه المنطقة فدفعا لهذه الفكرة وغيرها جاء الله سبحانه وتعالى بضمير المخاطَب(الكاف) الذي يعيّن سيّدنا موسى مخاطبا مفردا لا يشاركه أحد مضمون هذا الخطاب الموجه إليه. حيث قال له: ﴿**قَالَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[الأعراف: 144]

الحجاج بالتعريف: تكمن أهمية التّعريف في قدرته على إضفاء نوع من المصداقية على الخطاب، ولهذا فإنّه يشكّل «**في الغالب مدخلا للحجاج، لأنّنا نحتاجه حينما نريد تحديد**

---

[1]- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ط 1، 2006م، اعتنى به وخرج أحاديثه: محمد سامح، دار القدس للطبع والنشر والتوزيع، ص267.

[2] - الشّعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، ص267.

مفهوم حتى تكون هناك أرضية مشتركة بين المخاطبين من أجل إقناع أحسن»[1] فهو يسهّل في تبسيط الأمور وتقريبها من الأذهان، وذلك بتوضيح ماهيتها، وأهمّ جوانبها مثلا، والغرض منها وغيرها من الأمور الكثيرة التي يساعدنا التّعريف على تثبيتها في أذهان المخاطبين وعلى هذا الأساس يعدّ التعريف«**دليلا حجاجيا في الإقناع ووسيلة ناجعة في بناء القول وتزكية الأطروحة»**[2] ويبدو تأثير التّعريف في العملية الحجاجية بين الله سبحانه وتعالى وكليمه، في استجابة سيّدنا موسى عليه السّلام لتوجيهات ربّه، وإقباله على تنفيذ أوامره دون تردّد بعدما عرّفه الله سبحانه وتعالى أنّه ربّه بقوله: ﴿**فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ. إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ. إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ. إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ اَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ. فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُومِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَاَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَىٰ. قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَىٰ. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ. قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ. وَاضْمُمِ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ –ايَةً اُخْرَىٰ. لِنُرِيَكَ مِنَ –ايَاتِنَا الْكُبْرَى. اِذْهَبِ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[طه: 11-24]

وتجدر الإشارة إلى أن فعل النّداء في هذا المقام بُني للمجهول في قوله: ﴿**فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ**﴾[طه: 11] ويلعب الإبهام والغموض في بداية الأمور، دور التّشويق، إذ يبعث في نفس المخاطب الفضول من أجل متابعة الحديث ولهذا فإنّ إبهام الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة «**يشوّق سامع الآية إلى معرفته، فإذا فاجأه "إني أنا ربّك" علم أنّ المنادي هو الله تعالى فتمكّن في النّفس كمال التّمكّن»**[3]

– آليات تقرّب سيّدنا موسى عليه السّلام إلى الله عز وجل:

– الإطناب والاسترسال:

---

[1] – عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 142.

[2] – نفسه: ص 141.

[3] – ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج12، ص 185.

وتتجسّد محاولات التّقرّب من جهة سيّدنا موسى عليه السّلام في إطنابه الجواب عن سؤال الله سبحانه وتعالى حين سأله قائلا:﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه: 17]

إذ كان المفروض حسب طبيعة السّؤال أن يكتفي سيّدنا موسى في الإجابة بأن يقول: ﴿**هِيَ عَصَايَ**﴾ وتكون الإجابة تامّة غير أنّه عليه السّلام لم يكتف بهذا، بل أطنب في الكلام وذهب إلى ذكر منافعها وتعدادها ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ** ﴾[طه: 18]

فلو أنّ سيّدنا موسى عليه السّلام قال«**هي عصاي، فقد تمّ الجواب إلاّ أنّه عليه السّلام ذكر الوجوه الأخرى لأنّه يحبّ المكالمة مع ربّه فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض**»[1] وهو ما يبيّن اجتهاده عليه السّلام في التّعرّف على قصد الله عزّ وجلّ من سؤاله عن العصا وهذا مؤشّر بمحاولة التّقرب أكثر من جهة سيّدنا موسى إلى الله سبحانه وتعالى، ويذهب الطّاهر بن عاشور في تحليل إطناب سيّدنا موسى عليه السلام في الكلام إلى طبيعة المقام حيث رأى أنّ المقام «**مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث**»[2] ولذلك أتبع جوابه ببيان الغرض من اتّخاذها«**ففصّل ثمّ أجمل لينظر مقدار اقتناع السّائل حتى إذا استزاده بيانا زاده**»[3] وهو ما يظهر رغبة سيّدنا موسى الكليم في التّقرب من الله سبحانه وتعالى.

الدّعاء:

إنّ لغة العبد مع ربّه دائما ومهما علت مكانته تبقى هي الدّعاء، لهذا فإنّنا نجد سيّدنا موسى، ومنذ البداية يوجّه دعاءه خالصا لله سبحانه وتعالى، وكلّه يقين أنّه هو وحده القادر على مساندته، ويتميّز الدّعاء«**بكون المأمور والمخاطب ممّن يستعظم أن يؤمر أو ينهى**»[4]

---

[1] – محمّد الرّازي فخر الدّين(544– 604): تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، ج 07، ص23.

[2] – ابن عاشور: التحرير والتّنوير، ج16، 206.

[3] – نفسه، ج16، 206.

[4] – خالد ميلاد: الإنشاء في اللّغة العربيّة، ص 144.

يقول سيبويه في الكتاب«**إنّ الدّعاء بمنزلة الأمر والنّهي، وإنّما قيل(دعاء)لأنّه استعظم أن يقال أمر ونهي**»[1] قال الله سبحانه وتعالى على لسان سيّدنا موسى في تلك اللّحظات ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي.وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنَ اَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾[طه: 25-35] فقد أبدى سيّدنا موسى عليه السّلام استعداده وعزمه على تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى «**وهذا دليل على إخلاصه لهذه المهمّة، ورغبته في إتمامها على خير وجه**»[2] فراح عليه السّلام يطلب المساعدة منه سبحانه عزّ وجلّ وكلّه ثقة من قدرة العلي القدير على الاستجابة له وتلبية كل مطالبه لهذا جاءت كلّ أدعيته في صيغة الأمر(افعل)وذلك قمّة العبادة والتّعظيم لله جل وعلا «**فالجزم هنا مؤشّر على اعتقاد سيّدنا موسى بقدرة الله على الإجابة، وهذه طريقة مميّزة لإرضائه تعالى ومن ثمّة التّقرب منه "فالله يغضب إن لم يُسأل وإن لم نجزم في سؤالنا**»[3] لذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

- ﴿**فَلَوْلاَ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[الأنعام: 43]

- ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُومِنُواْ بِيَ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة: 186]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم(الرسول المقصود هنا هو الرسول محمد خاتم النبيين والمرسلين) «**لا يقولنّ أحدكم: اللّهم اغفر لي إن شئت**».[4] ثمّ إنّ دعاء سيّدنا موسى عليه السّلام وتضرّعه لله يبيّن لنا وجها آخر من وجوه اجتهاده عليه السّلام في سبيل التّقرب إلى الله سبحانه وتعالى، من خلال استعداده وعزمه الكبيرين في تنفيذ أوامر الله عزّ وجلّ، مستهينا بأكبر قوّة على وجه الأرض في ذلك الوقت(فرعون الطّاغية ومن معه).

---

[1] – أبو بشر بن عمر عثمان ين قنبر: الكتاب(كتاب سيبويه)، تح وشر: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ص 142.

[2] – الشّعراوي: قصص الأنبياء ومعها سيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ص 281.

[3] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص 145.

[4] – صحيح البخاري: الجزء 05/ ص2334.

ومن علامات التّقرّب أيضا، عدم تسرّع سيّدنا موسى عليه السّلام، حين أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ الرّسالة إلى فرعون وملئه بقوله:

– ﴿**اِذْهَبِ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[طه: 24]

– ﴿**وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ايتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء: 10- 11]

إنّ النّبي موسى عليه السّلام لم يتسرّع في الإجابة، بل استشعر حجم المسؤوليّة الّتي كلّفه بها العلي القدير، فجعل يبحث عن نقاط الضّعف المحتملة والمفترضة، الّتي يمكن أن تشكّل عقبة تحول دون تبليغها(الرّسالة) على أكمل وجه، وفيما يلي ما أجاب به سيّدُنا موسى عليه السّلام اللهَ السميع العليم، وكأنّه يقدّم تقريرا مسبقا عن الوضع العام بين يدي ربّه، ليعزّزها له ويساعده على تجاوزها «**والافتراضات المسبقة من العناصر الّتي تسهم في اختيار إستراتيجية الخطاب**»[1] وهو ما تبيّنه هذه الآيات على تعدّد السّور الّتي جاءت فيها:

-1- ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنَ اَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾[طه: 25-35]

-2- ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلِ اِلَىٰ هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ**﴾[الشعراء: 12-14]

-3-﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقْنِي إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ**﴾[القصص:33 -34]

تبيّن الآيات الكريمات نقاط مشروع العمل الأوّلي الّذي قدّمه سيّدنا موسى عليه السّلام بين يدي الله العليم الخبير بعباده، أنّه أشار فيه إلى مجموعة من النّقاط نحاول تحليلها وتبيين علاقتها بطلب الله من سيّدنا موسى تبليغ رسالته.

– **اشرح لي صدري:** أوّل شيء طلبه سيّدنا موسى عليه السّلام، من ربّ العالمين وهو أمر خاصّ به وبرسالته، فإذا شُرح صدره عليه السلام للدّعوة، تقبّلها وتغلغلت في عروقه، بالتّالي أمكنه الدّفاع عنها فإذا كان الإنسان مقتنعا بفكرة مّا أخذ لواءها ودافع عنها دفاعا مستميتا

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري:إستراتيجيات الخطاب، ص 88.

وهذا مبدأ من مبادئ الحجاج، إذ على المحاجِج(المرسِل) أن يكون على قدر كبير من المعرفة بالمجال الّذي يخوض فيه، بل ومقتنعا بكلّ صغيرة وكبيرة فيه أيضا، لهذا قال عليه السلام: (اشرح لي صدري).

– **يسّر لي أمري:** في هذه المرحلة يفترض أن يكون سيّدنا موسى عليه السّلام قد تخيّل حجم المعارضة وقوّتها، وكلّما اشتدّت المعارضة تعسّر الأمر على صاحب الدّعوة، وهو ما يمكن أن يسبّب فتورا، إن تواصل لمدة طويلة، لهذا طلب من الله العليّ القدير أن ييسّر عليه هذا الأمر على جسارته، لأنّه عايش فرعون ومن معه أجمعين وهو عارف تماما ما ينتظره معهم، وهو أيضا طلب خاصّ به، يدلنا على ذلك قوله: ﴿**وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي**﴾[طه: 26].

– **احلل عقدة من لساني:** هنا يختفي الجار والمجرور(لي) ويعوّض بجملة تعليليّة فهو لم يقل ذلك استحياءً من القوم، ولم يقله لأنّه غير راض بقضاء الله وقدره في أن يكون على هذه الحالة، فحل عقدة من عقد لسانه لا يستفيد منها شيئا لذاته في مسار الدّعوة، وإنّما طلبه من أجل تبليغ الدّعوة بوضوح وحتّى لا يتّخذها القوم سببا يتذّرعون به، ولا منفذا يفرّون منه، دليل ذلك قوله: ﴿**يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[طه: 28]

فهو يعلم أنّ الآيات الّتي أيّده الله سبحانه وتعالى بها، ستكون دليله وبيانه السّاطع على صدق دعواه، لكنّ مشوار الدّعوة إلى سبيل الله لن يفتتح بها، فالله سبحانه وتعالى هو من وجّهه لسلوك هذه السّبيل، قبل استعراض الآيات الّتي أيّده بها، حين قال له موجّها إيّاه عليه السّلام إلى الإستراتيجية الّتي عليه أن يسلكها مع فرعون، حين القدوم عليه لدعوته للإيمان بالرسالة الجديدة، فيقول عزّ من قائل: ﴿**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّـيِّـنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[طه: 44]

لذلك فلا بّد من مواجهة كلاميّة تساير ركب آيات الله وما أكثرها في مسار دعوته سواء مع فرعون وملئه أو مع السّحرة والقوم. وسنرى فيما يأتي من البحث بعض النّماذج الّتي نتعرّض لها بالدّراسة والتّحليل.

– طلبه من الله أن يشدّ أزره بأخيه هارون عليه السّلام:

-1- ﴿**وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾ [طه: 29-35]

-2- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلِ اِلَىٰ هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء:12- 14]

-3- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقْنِي. إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ﴾ [القصص:33-34]

فطلبه شدّ أزره بأخيه كما توضّحه الآيات البيّنات له العديد من الفوائد في سبيل الدّعوة، نوجزها في نقطتين:

الأولى: خاصّة بشخص سيّدنا موسى عليه السّلام وتتمثّل في:

- كونه قتل منهم نفسا، وهو خائف من أن يقتلوه بمجرّد دخوله، فلا يتمكّن من بسط الدّعوة، وإيصال الرّسالة، بالتالي فإنّ وجود سيّدنا هارون عليه السلام معه، يضمن في تلك الحالة لو قضوا عليه مواصلة مسيرة الدّعوة.

- خائف من أن يكذّبوه فيما يقول، بالتّالي فإنّ وجود أخيه معه، يساعده على إقناعهم بأنّ ما جاء به رسالة من الله. إذ لا يمكن أن يتآمرا على أمر كهذا أمامهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ﴾ [القصص: 33]

الثّانية: خاصّة بالدّعوة وتتمثل في:

- أنّ هارون عليه السّلام أفصح من سيّدنا موسى عليه السّلام، وهذا الأمر سيساعد على تبليغ الرّسالة بأقلّ جهد ممكن، فحين يكون الكلام واضحا، ومفهوما، وفصيحا وبليغا، فإنّ المخاطب لا يجد ثغرة في كلامه، من أجل المناورة، أو إدّعاء عدم الفهم منذ البداية.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقْنِي إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34]

- أنّ وجود سيّدنا هارون عليه السّلام، سيقوّي من عزيمة سيّدنا موسى عليه السّلام فيتقوى أساس الدّعوة ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه:34]

وسنرى في التّحليل فيما بعد كيف أنّ فرعون حاول استغلال كل هذه الفرص.

- استغلال بعض الأحداث الماضية، من اجل الحصول على إذن لقتل سيّدنا موسى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّــهُ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُّظْهِرَ فِي الاَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]

– استغلال عقدة اللسان فكان يوجّه خطاباته لسيّدنا موسى عليه السلام دون سيّدنا هارون عليه السّلام:

﴿أَمَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزّخرف: 52]

﴿فَاتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ. قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَىٰ﴾ [طه: 47-49]

وكل ذلك خوفا منه، إن تحدّث سيّدنا هارون عليه السّلام، أن يبلّغ الرّسالة على أكمل وجه فيتّضح الأمر جليا للعامّة فيقتنعوا بكلامه، ويتّبعون النّبيين الكريمين في النّهاية.

العلاقة العمودية: يقضي هذا المبدأ أن يتموقع المتخاطبان(الله سبحانه وتعالى مع سيدنا موسى عليه السلام) في مراتب مختلفة على السلم العمودي، حيث تبرز هيمنة أحدهما على الآخر«**إذ يقع كل طرف من طرفي الخطاب في إحدى درجاته سواء أكان سلما اجتماعيا أم سلما وظيفيا، وهذا ما يحتاج المرسل إلى إدراكه**»[1] ونشير إلى أنّ العلاقة بين طرفي الحجاج، في خطابات الله عزّ وجلّ مع سيّدنا موسى، علاقة خاصّة جدّا، فهي علاقة لا بين إنسانين من مراكز وطبقات اجتماعيّة مختلفة، يتواصلان فيما بينهما، بل هي علاقة بين خالق ومخلوق بين الخالق القدير، خصّ بها عبده ورسوله المصطفى سيّدنا موسى عليه السّلام، وهو ما منح الله سبحانه وتعالى التّفوق، وبالتّالي الهيمنة على الموقف بشكل عام.

– **هيمنة الله سبحانه وتعالى على العملية الحجاجية:** هيمن الله سبحانه وتعالى على الموقف الحجاجيّ الّذي خص به سيّدنا موسى عليه السلام حين كلّمه، ومؤشّرُ هذه الهيمنة افتتاحه العملية الحجاجية، لأنّ«**افتتاح المحادثة واختتامها(...) يكون من نصيب المتخاطبين أولي المكانة العليا**»[2] فافتتاح الكلام بحد ذاته كفيل بإظهار التّفاوت «**بين المتكلم والمخاطب(...) وأسبقية الكلام على السماع، فالمتكلم هو الذي يضطلع بتحديد أدوار المحادثة وتقدير**

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص89.

[2] – Catherine kerbrat: les interactions: les interactions verbales, Armand colin, éditeur, paris, 1990.p72.

سيرها»[1] وكان الله العزيز الحكيم قد افتتح ذلك الموقف الربّاني في تلك اللّحظات، مخاطبا سيّدنا موسى عليه السلام:

﴿**فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَّامُوسَىٰٓ إِنِّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [القصص: 30]

﴿**فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يَامُوسَىٰٓ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّـهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَىٰ لاَ تَخَفْ اِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل: 8- 10]

﴿**إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ. إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ. إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ اَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ. فَلاَ يَصُدَّنَّـكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُومِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ**﴾ [طه: 12-17]

وتسهم درجة العلاقة السّلميّة، بشكل كبير جداّ «**في توجيه المرسل لبلورتها في خطابه متأثرا بدرجة التقارب، أو بدرجة التباعد في تحديد إستراتيجية الخطاب, فقد ينتمي إلى درجة المرسَل إليه، كما يمكن أن يكون الحال هو العكس أيضا**»[2] لأن المرسل يعتمد «**على عدد من القواعد، للتلفظ بالخطاب وفقا لما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه**»[3] ولعل أهم هذه القواعد التي يستند عليها في ذلك الإشاريات «**إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي(الأنا، الهنا، الآن)**»[4] وهي جميعها من العلامات التي لا يمكن أن يتحدّد «**مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلاّ أنه مرجع غير ثابت**»[5] وسنحاول تبيّنها في الموقف الذي جمع الله سبحانه وتعالى بعبده ورسوله الكريم سيّدنا موسى عليه السّلام.

---

[1] – – Catherine kerbrat: les interactions: les interactions verbales. p84.

.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري: إستراتيجيات الخطاب، ص90.

[3] – نفسه: ص91.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، ص81.

[5] – نفسه: ص 80.

- اشتغال الإشاريّات في النّص:

- الإشاريّات الشّخصيّة: وهي الإشاريّات الدّالة على «**المتكلّم، أو المخاطب، أو الغائب فالذّات المتلفّظة، تدلّ على المرسَل(...) في السّياق الذي تلفّظ فيه. وهذه الذات هي محور التلفّظ في الخطاب تداوليا، لأنّ الأنا، قد تحيل على المتلفّظ الإنسان، أو المعلّم أو الأب**»[1] وهي هنا تحيل على الله سبحانه وتعالى، الّذي يخاطب سيّدنا موسى عليه السّلام خطابا حضوريا، ويدل على هذا الحضور حضور الأداة الإشاريّة(أنا) التي تواتر اعتمادها في هذه الآيات الكريمات وقد أضيف إلى حرف التوكيد(إنّ) في الآيتين الثانية عشرة والرابعة عشرة، لتأكيد هذا النسق التعريفي بالذات الإلهية لسيدنا موسى عليه السّلام، فضمير الأنا بما هو عنصر إشاري محض يؤدي دورًا هاما في تقوية خبر مخاطبة الذات الإلهية لسيدنا موسى عليه السلام وتقوية فكرة الوحدانية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ**﴾[طه:41]

ومن ثمّ تكريس حضور الذات الإلهية المهيمن الواجب الوجود المستحق للمحامد كلّها، لذلك أعقب كل جملة حملت معنى التعريف بأوامر لمخاطبه سيدنا موسى. يقول ابن عاشور في قوله تعالى﴿ **إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا** ﴾ أنّ الإخبار عن ضمير المتكلّم الذي جاء مبهما في بداية الكلام تمّ بالتّعريف«**باسمه العلم الدال على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وذلك أوّل ما يجب علمه من شؤون الإلهية، وهو أن يُعلم الاسم الذي جعله الله علمًا عليه لأنّ ذلك هو الأصل لجميع ما سيخاطب به من الأحكام المبّلغة عن ربّهم**»[2] وقال في سبب توسّط ضمير(الأنا) لعبارة(**إنني أنا الله**) إنّ "**توسيط ضمير الفصل بقوله(إنني أنا الله) لزيادة تقوية الخبر وليس بمفيد القصر، إذ لا مقتضى له هنا لأنّ** "**المقصود الإخبار بأنّ المتكلّم هو المسمّى الله**»[3]

- السلالم الحجاجية: «يتمثل صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها إذ لا يثبت غالبا إلا بالحجة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السّياق، ولذلك يرتب

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، ص 82.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص 199.

[3] - نفسه: ج15، ص 200.

المرسل الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوّة اللاّزمة الّتي تدعّم دعواه، وهذا التّرتيب هو الّذي يسمّى بالسّلّم الحجاجيّ»[1]

2- حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع الرّجل الصّالح:

تعتبر قصّة سيّدنا موسى مع العبد الصّالح «**قصّة العجائب الغيبيّة الّتي يقف أمامها العقل البشري خاشعا ومسلّما، فهي قصّة رسول موحى إليه ومعه منهج حياة ممثّلا في التّوراة(...) وقصّة عبد آتاه الله رحمة من عنده، وعلّمه من لّدنه علما، ولكلّ خصوصيّته**»[2] وهي أيضا من القصص الّتي يشوبها الغموض في إطارها العام، بدءا بالزّمان والمكان، إذ لم يُذكر في القرآن لا زمن ولا مكان وقوع كل ما جرى بين سيّدنا موسى عليه السّلام والعبد الصّالح، كما يشوب الغموض أيضا العلاقة بين أطراف العملية الحجاجيّة. لكنّ الفرق بين حجاجه هذا الذي كان بينه والعبد الصّالح وبين حجاجه السّابق الّذي شرّفه به الله بتكليمه فيه، أنّ الله العزيز الحكيم، هذه المرّة زوّده ببعض المعلومات حول العبد الصّالح وإن لم يحدّد له المكان والزّمان الّذي يلتقيان فيه بالتّحديد، بل جعل له آية أن يحمل معه حوتا فحيثما فقد الحوت سيلقاه هناك. لكن ودفعا للتّيه بين آراء المفسّرين، وقصص الأنبياء، في مجريات القصّة، سنحاول الانتقال مباشرة إلى التّحليل.

العلاقات التخاطبية :

- **العلاقة الأفقية:** نستهّل تحليلنا للعلاقة الأفقيّة بالإشارة كما سبق إلى أنّ أطراف العملية الحجاجية لا تربطهما أية علاقة مسبقة، فهما لا ينتميان إلى أمّة واحدة، إذ يرى ابن عاشور أنّه: «**لا يصحّ أن يكون الخضر من بني إسرائيل، إذ لا يجوز أن يكون مكلّفا بشريعة موسى ويقرّه موسى على أفعال لا تبيحها شريعته**»[3] غير أنّ وضعيّة التّواصل خلقت صلة مخصوصة بينهما وهي علاقة معلّم/ متعلّم.

تقرّب سيّدنا موسى من الرّجل الصالح:

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشّهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 500.

[2] - الشّعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 342.

[3] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص364.

تبدو محاولات تقرّب سيّدنا موسى من الرّجل الصّالح، منذ القراءة الأولى للقصّة كما يرويها القرآن، ولعلّ من أهمّ علامات هذا التّقرّب:

1- السّفر وتحمّل مشاقّ السّفر وعنائه من أجل لقاء هذا العالم: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوَ اَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[الكهف: 60]

ويذهب الرّازي إلى «**أنّ الله عزّ وجلّ كان أعلم موسى حال هذا العالم، وما أعلمه موضعه بعينه**»[1] فقال موسى عليه السّلام لا أزال أمضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا أو أمضي دهرا طويلا حتّى أجد هذا العالم، يعني أنّه ألزم نفسه المسير والطّلب، وألاّ يتركه وألاّ يفارقه، يقول الرّازي إنّ قول سيّدنا موسى هذا «**يعني ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه**»[2] حتى أبلغ مجمع البحرين، «**وهو ما يقتضي تصميمه عليه السلام على ألاّ يزول عما يشتغله(...) حتى يبلغ مجمع البحرين**»[3] وهو إخبار وتصريح من سيّدنا موسى بأنّه وطّن نفسه على تحمل التّعب الشّديد والعناء العظيم في السّفر لأجل بلوغ هذا المكان، والعثور على هذا العالم، ومن ثم طلب العلم منه.

2- عرضه على الخضر أن يتّبعه: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: 66]

3- الإصرار على المتابعة: رغم تحذير الخضر له وإعلامه إياه بخطورة الموقف رغم رفض الخضر لعرض سيّدنا موسى عليه السّلام بالمتابعة بقوله ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾ [الكهف:67]

إلاّ أنّ سيّدنا موسى عليه السّلام أصرّ على المتابعة مبينا عزمه على تحمّل الأحداث التي سيراها ويشاهدها مع العبد الصالح فقال له مجيبا بكلّ حزم ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف:69]

---

[1] - الرّازي: مفاتيح الغيب، ج21، ص124.

[2] - نفسه: ص 146.

[3] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 360.

وهو تواضع من سيّدنا موسى عليه السّلام **«وكلّ ذلك يدلّ على أنّ الواجب على المتعلّم إظهار التّواضع بأقصى الغايات»**[1] فلم تأخذه العزّة بالنّفس، ولم يغرّه أنّه من عباد الله الذين اصطفاهم، فيستغني عن الغير، ويستسهل كلّ الأمور، بل بدا جدّيا وحازما في قراره، ولم تغرّه مكانة النّبي فتأخذه العزّة بالنّفس، فيتكبّر على الرّجل الصّالح، بل أخذ كلامه مأخذ الجدّ واستشعر خطورة الموقف، وعلم أنّه صادق لا يكذب، لهذا أجابه معلّقا الأمر بمشيئة الله ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]

4- **إعادة صياغة العقد بصورة أخرى رغم عسر التّجربة:** فقد قال سيّدنا موسى معتذرا للرّجل الصّالح بالنّسيان: ﴿**قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنَ اَمْرِي عُسْرًا**﴾[الكهف: 73]

بعدما أدرك أنّه لم يلتزم بالوعد الّذي كان بينه والخضر.

كما تتّسم هذه المحادثة التي جمعت بين سيّدنا موسى عليه السلام والرّجل الصالح، على المحور الأفقي، بغياب كلّي للتّخاطب بالأسماء، في حين يتكرّر كاف الخطاب من الطّرفين نحو عشر مرّات وهي علامة على تنزيل المتخاطبين أحدهما الآخر المنزلة نفسها. ومن أمثلة استعمال كاف الخطاب، قول لسيّدنا موسى عليه السّلام للخضر مخاطبا:

﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: 66]

﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]

ومن جهة الخضر نجد قوله لسيّدنا موسى عليه السّلام:

﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا.**﴾

﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف: 67- 70]

﴿**وأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنَ اَمْرِي ذَٰلِكَ تَاوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:82]

---

[1]- الرّازي: مفاتيح الغيب، ج7، ص154.

تفعّل هذه المحاورة صراعا بين سيّدنا موسى والخضر، حول أحداث الماضي والمستقبل فسيّدنا موسى يضع خطّة قوامها إتّباع الخضر في المستقبل

﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا** ﴾[الكهف:66]

والثّبات والاستمرار على الصّبر

﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا**﴾[الكهف:69]

غير أنّ الخضر ينفي إمكانيّة نجاح مخطط سيّدنا موسى في المستقبل. يقول سبحانه وتعالى على لسان الخضر:

﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا** ﴾[الكهف:67]

إنّ الكاف هنا، باقترانها بحرف التّوكيد(إنّ) تجعل سيّدنا موسى مخاطبا يوجّه إليه حكم مؤكّد، هذا الحكم هو عدم القدرة على الصّبر

﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا**﴾[الكهف:67]

وهو نفي على الإطلاق لإمكانيّة حدوث الصّبر في المستقبل وهذا النّفي متعلّق بنفي آخر (وهو عدم تحصيل أو إحاطة سيّدنا موسى في الماضي لعلم يمكّنه من فهم ما سيحدث في المستقبل). ﴿**وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا**﴾[الكهف:68]

كما تطرح هذه المحاورة تعارضا بين موضوعين أو علمين: العلم اللّدنيّ، الّذي يحصل دون واسطة سعي أو تأمّل، ويقوم على البواطن من جهة، والعلم الشّرعيّ القائم على ظواهر الأمور من جهة أخرى. وقد خصّ الله سيّدنا الخضر بالعلم اللّدنيّ، دون سيّدنا موسى ﴿**فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا**﴾[الكهف:65]

فوقع بذلك تفاوت بينهما. يقدّر ابن عاشور أنّ الرجل الصالح **«يعلم علوما من معاملة النّاس لم يعلّمها الله لموسى فالتّفاوت في العلم في هذا المقام تفاوت بفنون العلوم وهو تفاوت نسبيّ»**[1] بينما يرى الرّازي، أنّ مرتبة الخضر فوق مرتبة سيّدنا موسى عليه السّلام في العلم إذ يقول: **وفي هذه المسائل الثّلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنيّا على الأسباب الظّاهرة المعلومة، بل كان ذلك الحكم مبنيّا على أسباب معتبرة في نفس الأمر، وهذا يدلّ على أنّ ذلك العالم كان قد آتاه الله قوّة عقليّة، قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور، ويطّلع على**

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص363.

حقيقة الأشياء، فكانت مرتبة موسى عليه السّلام في معرفة الشّرائع والأحكام بناء الأمر على الظّواهر، وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والإطّلاع على أسرارها الكامنة، فبهذا الطّريق، ظهر أنّ مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة سيّدنا موسى عليه السّلام»[1] وهذا الكلام يرجّح حظوة الخضر بالمكانة العليا كما يرجّح علاقة التّباعد بينهما باعتبار غياب أرضيّة مشتركة، أو موضوع مشترك يحيطان به معا، وغياب الإحاطة بالموضوع، من طرف سيّدنا موسى هو أهمّ ما يرجّح التّباعد بينهما وقد كان الخضر على وعي بأهميّة هذا العامل حين علّق على عرض سيّدنا موسى-عليه السّلام- إتّباعه، بقوله: ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾[الكهف:68]

ثمّ إنّ الخضر اشترط على سيّدنا موسى، ألاّ يسأله عن شيء حتّى يحدث له منه ذكرا. إذ قال ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف:70].

هذه الصّيغة توجب على سيّدنا موسى ترك السّؤال والجدل والاعتراض، يقول ابن عاشور: **«والفاء في قوله(فإن اتّبعتني) تفريع على وعد موسى إيّاه بأنّه سيجده صابرا، ففرّع على ذلك نهيه عن السّؤال عن شيء ممّا يشاهده من تصرّفاته، حتّى يبيّنه له من تلقاء نفسه»**[2] وأكّد النّهي بحرف التّوكيد تحقيقا لحصول أكمل أحوال المتعلّم مع المعلّم **«لأنّ السّؤال قد يصادف وقت اشتغال المسئول بإكمال عمله فتضيق له نفسه فربّما كان الجواب عنه بدون شره نفس، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف، فأراد الخضر أن يتولّى هو بيان أعماله، في الإبّان الّذي يراه مناسبا ليكون البيان أبسط، والإقبال أبهج فيزيد الاتّصال بين القرينين"**[3]

غير أنّ سيّدنا موسى نقض هذه الصّيغة، وعمد إلى تأويل المشاهدات وإصدار الأحكام عليها، فسرّع بذلك وتيرة المحاورة، وأفضى بها إلى الختام وإلى التّباعد بينه وبين الخضر، إذ قال له الخضر ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف: 78]

---

[1] – الرّازي: مفاتيح الغيب، ج21، ص135.

[2] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص210.

[3] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص373.

أمّا لغة هذه المحادثة، فهي لغة محاطة بأساليب الغرابة، والتّحذير، والتّوجّس، ومشحونة بأسرار لا يعلمها سوى العبد الصّالح، يقول تعالى ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنـــَّا عِلْمًا**﴾[الكهف: 65]

لذلك كرّر الخضر صيغة التّحذير والتّنبيه ثلاث مرّات بقوله:

﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 67]

﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُلِ اِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 72]

﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا** ﴾[الكهف: 75]

يقول ابن عاشور إنّ في قول الخضر لسيّدنا موسى عليه السّلام ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾[الكهف: 68]. فيه «**تنبيه لسيّدنا موسى عليه السّلام لخفاء هذا العلم عنه وحظوة الخضر بالإحاطة بسرّه دونه(موسى عليه السّلام) وهي علامة على غياب التواطؤ بينهما(...) هذه التّحذيرات أو التّنبيهات تندرج ضمن معجم، أو لغة رسميّة مخصوصة هي لغة المعلّم.**»[1] ويرى ابن عاشور أن هذا الأمر الذي «**قام به الخضر مع موسى عليه السلام يعدّ أصلا من أصول التّعليم وعليه يتوجّب على المعلم أن ينبّه المتعلّم بعوارض موضوعات العلوم الملقّنة لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقّة**».[2]

ثمّ إنّ قول الخضر لسيّدنا موسى ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّـــبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِّي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف: 70] يمثّل نهيا عن السّؤال والجدل في مقام التّعلّم، وفي هذا كلّه تكريس للعلاقة الرّسمية عالم/ متعلّم، ومن ثمّ للتّفاوت بينهما.

كما أنّ التّباين في المعجم اللّغويّ المستعمل من كليهما رجّح التّباعد بينهما، إذ استعمل سيّدنا موسى عليه السلام لغة شرعيّة(معجم شرعيّ معياريّ أو قيميّ، فإغراق النّاس شيء إمر، وقتل النّفس بغير حق أمر نكر) أمّا معجم الخضر فهو معجم يتعلّق بعلم سياسة خاصّة تراد لجلب مصلحة، أو دفع مفسدة. يقول ابن عاشور «**وهذا العلم الّذي أوتيه الخضر هو علم سياسة خاصّة غير عامة تتعلّق بمعيّنين، لجلب مصلحة أو دفع مفسدة، بحسب ما تهيّئه**

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص212.

[2] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 372.

الحوادث والأكوان لا بحسب ما يناسب المصلحة العامّة»[1]. ولعلّ ما يجسّد لغويا إرادة جلب المصلحة، تكرار الفعل **(أراد)** بصيغ مختلفة في قول الخضر في سياق تأويل خرقه للسّفينة ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنَ اَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبــًا**﴾[الكهف:79]

ثم قوله(العبد الصّالح) في سياق تأويل قتله للغلام ﴿**وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَآ أَنْ يُّبَدِّلَهُمَا رَبــُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾[الكهف: 80-81]

وأخيرا قوله في سياق تأويل إقامته للجدار ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَــيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبــُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبــُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبــِّكَ وَمَا فَعَلْــتُهُ عَنَ اَمْرِي ذَٰلِكَ تَاوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف: 82].

– **العلاقة العموديّة:** خلقت وضعيّة التّواصل وضعا خاصّا بين سيّدنا موسى والخضر، إذ وضعت سيّدنا موسى عليه السّلام في مقام المتعلّم، أي مرتبة دنيا(أو أقلّ شأنا من الخضر) إذ قال سيّدنا موسى للخضر﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: 66]

«وجعلت وضعيّة التّواصل الخضر في مقام معلم(مرتبة عليا) ومن ثمّ طبعت العلاقة بينهما بالتّفاوت إذن فالتّفاوت المسجّل في هذه المحادثة يرجع بالدّرجة الأولى إلى الدّور التّفاعلي، الّذي أسند إلى كليهما، كما أنّ الكفاءة الّتي يمتلكها الخضر في الموضوعات أو المشاهدات أو الوقائع، الّتي جرت أثناء المحادثة مع سيّدنا –موسى عليه السّلام– خوّلته المكانة العليا»[2] إذ هيمن على مجرى المحادثة شكلا ومضمونا ومذهبا، وقد تجلّت هيمنته على مستوى الشّكل بوصفه المخوّل– بموجب صيغة العقد المتّفق عليه– بينه وبين سيّدنا موسى عليه السّلام لإدارة المحادثة بينهما، إذ اشترط على سيّدنا موسى عليه السّلام ألاّ

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 371.

[2] – إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم: ص213.

يسأله عن شيء حتّى يوضّحه له من تلقاء نفسه ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف: 70]

غير أنّ سيّدنا موسى نقض هذا الاتّفاق وبادر إلى الاعتراض والسّؤال، وهذا ما جعل الخضر يختم المحادثة بينهما، ويعلن الفراق بينهما، هذا الختم دلالة على حيازة الخضر الهيمنة على العملية الحجاجية. ولعلّ أهمّ المظاهر الّتي جلّت التّفوّق التّفاعليّ للخضر على سيّدنا موسى عليه السّلام تضلعه في الموضوع المطروح ورجاحة تأويلاته للوقائع على تأويلات سيّدنا موسى عليه السّلام فقد ختم بها الشّارع المحادثة.

التقارب من جهة سيدنا موسى عليه السلام:

هيمن على هذه المحادثة ضميرا الخطاب المتّصلان:"التّاء" و "الكاف".

- ضمير التاء:

تكرّر هذا الضّمير في الأفعال: أخرقتها، جئت، أقتلت، شئت، لاتّخذت وهي كلّها ممّا أتى على لسان كليم الله، حيث قال الله سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السّلام قوله:

﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: 66]

﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا**﴾[الكهف: 71]

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكُرًا**﴾[الكهف: 74]

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوَا اَنْ يُّضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾[الكهف: 77]

إنّ ضمير التّاء المتّصل في محلّ رفع فاعل، وهذا الفاعل هو الخضر، فكأن سيّدنا موسى يؤكّد(بضمير التّاء)أنّ الخضر فاعل كلّ هذه الأفعال(الخرق، والقتل، وبناء الجدار)وكونه فاعلا لها، يجعله محط الاتّهام، لأنّ هذه الأفعال(...)مرتبطة بمنظومة قيم شرعيّة بعينها.

- ضمير الكاف:

إذا كان ضمير التّاء هو الّذي استحوذ على نظام الضّمائر في كلام نبيّ الله فإنّ ضميرا آخر من ضمائر الخطاب وهو الكاف مع الضّمير المستتر في الأفعال والمقدر بـــ(أنت) الّذي يعود على سيّدنا موسى، هو المستحوذ على توجيه كلام الخضر أو الرّجل الصّالح، حيث تكرّر ضمير الخطاب المتّصل بأداة التّوكيد(إنّ)في قول الخضر"إنّك" في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 67]

﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُلِ انَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 72]

﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 75]

إنّ لهيمنة(التّاء) و(الكاف) في هذا الخطاب الّذي جرى بينهما دلالة مهمّة، إذ يدلاّن على هيمنة محور الفعل وتقويمه، ضمن منظومتين مختلفتين تماما، منظومة شرعيّة هي منظومة سيّدنا موسى، ومنظومة الحقيقة اللّدنيّة التي أطلع الله العبد الصّالح عليها دون غيره وهي منظومة الخضر، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان الخضر في هذا الموقف ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾[الكهف: 68]

غير أنّ سيّدنا موسى أصر على إمكانيّة الصّبر في المستقبل ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]

لذلك وضع الخضر خطّة لسيّدنا موسى ليتّبعها في المستقبل ليقوى على الصبر، فقد قال له منبّها إلى أنّه سيلاقي معه من الأمور ما يصعب عليه تحمّله، واشترط عليه ألا يعلق على شيء مما يرى حتى يوضحه له هو بنفسه، حيث قال له: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّـــبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف: 70]

حصل الإتّباع ولم يحصل الصّبر، وقد تسارعت وتيرة الأحداث بوقوع تعاقبين سريعين في الزّمن الماضي.

التعاقب(1): عقب الخرق الرّكوب مباشرة: يقول تعالى

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْـــتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا**﴾[الكهف: 71]

«وإذا ظرف للزّمان الماضي هنا وليست متضمّنة معنى الشّرط وهذا التّوقيت يؤذن بأخذه في خرق السّفينة حين ركوبها، وفي ذلك ما يشير إلى أنّ الرّكوب فيها كان لأجل خرقها، لأنّ الشّيء المقصود يبادر به قاصده لأنّه يكون قد دبّره وارتآه من قبل»[1] كما يذهب إلى ذلك ابن عاشور في تعليقه على الآية الكريمة.

التعاقب(2): أعقب القتل في قصّة الغلام اللّقاء مباشرة، فما إن لقي الخضر الغلام حتى قتله. يقول تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[الكهف: 74]

يقول ابن عاشور **«وقوله(فقتله) تعقيب لفعل(لقيا) تأكيدا للمبادرة المفهومة من تقديم الأظرف، فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسرع من المبادرة بخرق السّفينة حين ركوبهما»**[2] لقد تواطأت غرابة الأفعال الّتي شهدها سيّدنا موسى على يد الخضر أو العبد الصّالح مع سعة الأحداث، فأوّلا(الخرق) ثمّ بعدها(القتل) وهو ما جعل سيّدنا موسى ينكر على الخضر أفعاله ويصدر أحكاما تقويميّة سلبيّة.

إنّ للزّمن أثرا مهمّا في القراءة التّقويميّة الّتي قدّمها سيّدنا موسى، فالتّعاقب السّريع لفعلي الرّكوب والخرق من جهة، واللّقاء والقتل من جهة أخرى، زادا من غرابة الفعل وإنكاره ثمّ إنّ الخضر قدّم قراءة تقويميّة بديلة تقوم على ربط الماضي بالمستقبل.

فقتل الغلام متعلّق بحدث في المستقبل أنبأ الله به الخضر وهو طغيان الغلام وكفره وإرهاقه بذلك لوالديه. قال تعالى على لسان الخضر:

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَآ أَنْ يُّبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[الكهف: 80-81]

لأنّ **«فعل الإرهاق يقع في مستقبل الماضي»**[3].

---

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 375.

[2] – نفسه: ص 377.

[3] – توامة عبد الجبار: الفعل في القرآن، جامعة الجزائر: 1986، ص106.

وكذلك إقامة الجدار متعلّقة بحدث مستقبلي وهو استخراج الغلامين للكنز من تحت الجدار. قال سبحانه وتعالى على لسان الخضر أيضا

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنَ اَمْرِي ذَلِكَ تَاوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: 82].

وتجدر الإشارة إلى أنّ فعل(الكون) (كان) الذي يتكرّر في الآيتين التّاسعة والسّبعين والثّمانين يقرّر حالة زمنيّة ماضية مستمرّة وهي حالة(الإيمان) غير أنّ سيّدنا موسى لم يكن محيطا بهذه الأحوال الماضية الّتي تمثّل خلفيّة زمنيّة هامّة لخرق السّفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وجهله بهذه الأحوال أثمر ما أثمره من قلّة الفهم، وبالتّالي عدم الصّبر على ما أتى به الخضر من تصرّفات.

- **المكـــــــــان:**

رأينا في تحليلنا للزّمن أن عدم إحاطة سيدنا موسى بالخلفيّة الزّمنيّة الماضيّة وقصوره عن الإحاطة بأحداث الماضي، وقصوره في تصوّر المكان أو البعد الخلفي الخفيّ وغير الظّاهر منه، كان له أثر كبير في تصرّفاته، وأحكامه الّتي أطلقها «**ويظهر لنا النّصّ كيفيّة تعامل سيّدنا موسى مع المكان بوصفه مكانا ماديّا ظاهرا للعيان، فالسّفينة مكان ماديّ مرئيّ ظاهر للعيان، وهو لعدم إدراكه لما وراء السّفينة حكم على الظّاهر، بينما كان "الخضر" مدركا لوجود مكان آخر خفيّ هو الوراء** يقول تعالى: **﴿اَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنَ اَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾**[الكهف: 79] **إن الوراء هنا جهة غير فارغة دلاليا، فهي تلتبس بفكرة التّعقب، فالملك وراء السّفن وكأنّه يتعقّبها ليظفر بها»**[1] يقول ابن عاشور «**ويستعار(الوراء) لحال تعقّب شيء شيئا وحال ملازمة طلب شيء شيئا بحقّ»**[2]. فالمكان هنا يجسد تقابلا بين منظومتين، منظومة(الخضر) القائمة على البواطن(باعتبار أن الوراء خفي) ومنظومة سيّدنا موسى المُجري لأحكامه على الظّاهر(كما تظهر له الأشياء) ومثل ذلك يقال في الجدار إذ لم

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم: ص201.

[2] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص11.

يحط سيّدنا موسى ببعد مكاني خفي متّصل بالجدار، وهو جهة التّحت وما كان مخبّأ هناك للغلامين، يقول تعالى﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَـــيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُـــوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّـــكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّـــكَ وَمَا فَعَلْـــتُهُ عَنَ اَمْرِي ذَٰلِكَ تَاوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [الكهف: 82] وقصور فهم سيّدنا موسى عليه السلام «**عن إدراك هذا المكان الخفيّ جعله يجري حكمه على الظّاهر، بينما أدرك الخضر وجود مكان خفيّ هو(تحت الجدار) بما يحويه من قيمة ماديّة ومعنويّة(كنز) وهذا يبرز مرة أخرى التّقابل بين منظومة العلم اللّدني الّتي تتّصل بزمان ومكان خفيّين(الّتي اقترنت بالخضر) ومنظومة العلم الشّرعي الّتي تتّصل أحكامها بمكان وزمان ظاهرين**».[1]

- **العوامل الحجاجيّة والتّوجيه الحجاجي للخطاب:** يمكننا تمثيل الآليات اللغوية التي اعتمدها العبد الصالح في خطابه الذي وجّهه لسيّدنا موسى عليه السّلام كما سيأتي في التّحليل:

أكّد الخضر جملة ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 67] «**بحرف(إنّ) وبحرف(لن) تحقيقا لمضمونها من توقّع ضيق ذرع موسى عن قبول ما يُبديه إليه لأنّه علم أنّه تصدُر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف. ولمّا كان موسى –عليه السّلام– من الأنبياء الّذين أقامهم الله لإجراء الأحكام على الظاهر علم أنّه سيُنكِر ما يشاهده من تصرّفاته لاختلاف المشربين، لأنّ الأنبياء لا يُقرّون المنكر**»[2] ويعتبر هذا تحذيرا منه لسيدنا موسى عليه السلام حتى يُقدم على متابعته إن شاء على بصيرة وعلى غير اغترار، وليس المقصود منه الإخبار. فمناط التأكيدات في جملة ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾ «**إنما هو تحقيق خطورة أعماله وغرابتها في المتعارف بحيث لا تحتمل، ولو كان خبرا على أصله لم يقبل فيه المراجعة ولم يجبه موسى بقوله ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا﴾**»[3] كما أكّده الخضر في قوله: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 67]

---

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص 201.

[2] – نفسه: ص201.

[3] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص371.

ثمّ إنّ قوله تعالى على لسان الخضر في الآية(الثّانية والسّبعين) و(الخامسة والسّبعين) و(الثّامنة والسّبعين) تؤكّد صحّة التّوجيه في الآية(السّابعة والسّتين) فهي بمثابة تقويم للتّوجيه»[1] إذ قوّم توجيه سيّدنا موسى بنفي القدرة على الاستطاعة تقويما إيجابيا، وتأكّدت صحّته.

لدينا في هذا القول:

1- استطاعة سيّدنا موسى عليه السّلام الصّبر مع الرّجل الصّالح.

2- إن: الموجّه الأوّل وهو موجّه إيجابي، يقضي بتأكيد مضمون القضية التي تأتي بعده.

3- لن: الموجّه الثّاني وهو موجّه سلبي، يقضي نفي استطاعة الصبر معه.

4- إسناد ضمير الخطاب الّذي يعود على سيّدنا موسى عليه السّلام(الكاف) إلى أداة التّوكيد (الموجّه الإيجابي).

وهذا كلّه، يثبت أنّ العبد الصّالح وجّه خطابه وجهة محدّدة منذ البداية، والمتمثّلة في البتّ بعدم قدرة سيّدنا موسى عليه السّلام على الصّبر على ما لم يُحط به خبرا فمناط **«التأكيدات في جملة ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ إنّما هو تحقيق خطورة أعماله وغرابتها في المتعارف بحيث لا تُتحمّل»**[2]. ومما زاد في تحقيق مقولة العبد الصّالح **«عموم الصّبر المنفي لوقوعه نكرة في سياق النّفي، وأنّ المنفي هو عدم استطاعته الصّبر المفيد أنّه لو تجشّم أن يصبر لم يستطع ذلك»**[3]. وتأكيدا لهذه الفكرة، وترسيخا لها في ذهن سيدنا موسى عليه السلام، ذهب العبد الصّالح في كل مرة يصعّد نفيه، درجة بإضافة بعض الأدوات وهو ما يمكن تمثيله في سلّمين حجاجيين، الأوّل يحوي على حجج قولية، أمّا الثّاني ففيه مجموعة أفعال الخضر التي أنكرها عليه سيّدنا موسى عليه السّلام.

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم في القرآن الكريم، ص201.

[2] – ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج15، ص 371.

[3] – نفسه: ص 372.

1- سلّم الأقوال:

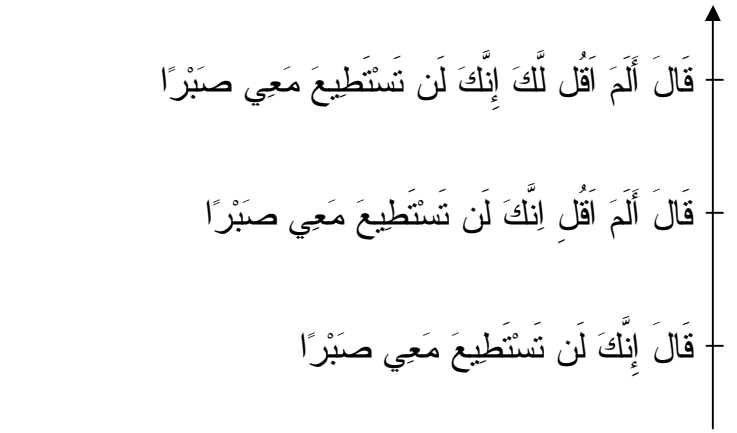

2-سلّم الأفعال:

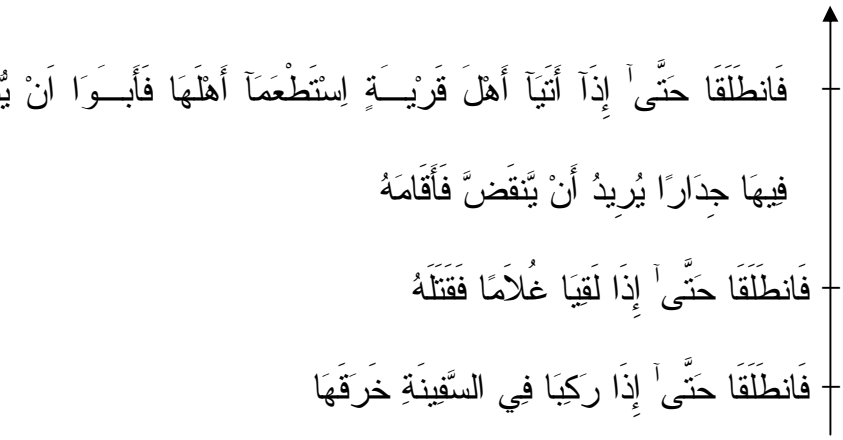

تحليل السّلمين:

يمضي العبد الصّالح كما يبيّن السّلّمين(القولي والفعلي) في إثبات مقولته الأولى "إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا" وهو في كلّ مرّة يعلو درجة أكبر من الّتي قبلها، مع كلّ حادثة ينكرها عليه سيّدنا موسى عليه السّلام، ويُثبت ما نذهب إليه ما أجاب به العبد الصّالح سيّدنا موسى عليه السّلام في كل مرّة كما بيّن لنا ذلك السلّم الحجاجي، فالزّيادة في اللّفظ ترافقها زيادة في المعنى. والتحليل التالي يبين لنا ما نقول فقول الخضر عليه السّلام لسيّدنا موسى عليه السّلام في المرّة الثانية: ﴿**قال ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبرا**﴾ إنما هو «**استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم، أي أتقرّ أنّي قلت إنّك لا تستطيع معي**

صبرا»[1] ولفظ (معي) في قول العبد الصّالح لسيّدنا موسى عليه السّلام ﴿**إنّك لن تستطيع معي صبرا**﴾**«ظرف متعلّق بـــ(تستطيع) فاستطاعة الصبر المنفية هي التي تكون في صحبته لأنّه يرى أمورا عجيبة لا يدرك تأويلها»**[2] وهكذا نفهم أنّ نفي الخضر على سيّدنا موسى استطاعة الصّبر على ما يراه، لا يعني أبدا أنّ سيّدنا موسى عليه السّلام ليس صبورا، أو غير قادر على كظم الغيظ، فهو من الرّسل أولي العزم♦، فعدم الصّبر هذا الّذي يتحدّث عنه ويقرّه عليه العبد الصّالح هو ممّا يؤكّد أكثر شدّته وعزمه الكبيرين في الدّفاع عن الحق وغضبه حين تنتهك حرمات الله تعالى، وهو في ذلك لا يخشى لومة لائم، وهو الأمر الذي كان يدركه العبد الصّالح جيّدا لأنّ الله كان أخبره بحاله، والشّطر الثّاني من كلامه يوضّح ما نقول فقد أضاف قائلا ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**﴾[الكهف: 68] **خبرا «(وكيف) للاستفهام الإنكاري في معنى النّفي، أي وأنت لا تصبر على ما لم تحط به خبرا»**[3]. وجاء جوابه في المرّة الثّالثة «**على نسق جوابه السّابق إلاّ أنّه زاد ما حكي في الآية بكلمة(لك)**﴿قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾[الكهف: 75] **وهو تصريح بمتعلّق فعل القول. وإذ كان المقول له معلوما من مقام الخطاب كان في التّصريح بمتعلّق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبيت له وتقوية، والدّاعي لذلك أنّه أهمل العمل به»**[4] فسيّدنا موسى عليه السّلام لم يقوَ حقا، على تحمّل كلّ ما كان يحدث، في صحبة التّي قضاها مع العبد الصّالح.

«واللّام في قوله(لك) لام التبليغ وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه(...) وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوما من السّياق فيكون ذكر اللاّم لزيادة تقوي الكلام وتبليغه إلى السامع(...) ألاّ ترى أنّ اللاّم لم يحتج لذكره في جوابه أوّل مرّة

---

[1] – ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج15، ص376.

[2] – نفسه: ص376.

♦ – أولو العزم من الرّسل هم: «نوح، وإبراهيم، وعيسى وموسى وقيل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام بقوله: **(فبهداهم اقتده)** [الأنعام:90] وقيل كل من لقي من أمّته شدّة، وقيل الرّسل كلهم أولو عزم» جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مج2، ص 31.

[3] – ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج15، ص371.

[4] – نفسه: ص5.

﴿أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ **فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشدّ»**[1]

– **في خطاب سيدنا موسى:** ومن جهته عليه السّلام، فإنّه أثبت ما قاله العبد الصّالح إذ لم يقو على الصبر، ولقد جاءت تعليقاته، وتأويلاته للأفعال الّتي شاهدها على يدي الخضر عليه السّلام، تزداد قوّة وغرابة، فيزداد هو استهجانا واستنكارا لها، محتجًّا بالنسيان في المرّة الأولى (خرق السّفينة)، ورافضا كليا الأمر في المرّة الثانية(قتل الغلام)، وحين أدرك ضعفه أمام ما يرى وعدم قدرته على الصبر، كما كان قد أخبره الرّجل الصّالح، ترك له العذر في أن يفارقه إن هو خالف الوعد كرّة أخرى. وبالفعل كان منه ذلك فكانت بالتالي النهاية وكان الفراق.

ويمكننا تمثيل هذه الحجج الّتي أتت على لسان سيّدنا موسى في سلّم حجاجي يبيّن لنا ترتيبها من أقلّها قوّة إلى أكثرها قوّة حسب ما جاء في تفسير ابن عاشور حيث قال في تفسيره إنّ **«الإمر–بكسر الهمزة–هو العظيم المفظع. يقال أَمِرَ كفرح إمرا، إذا كثُر في نوعه(...) لأنّ المقام دال على شيء ضارّ. ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدّة وصراحة، ولم يجعله نُكرا كما في الآية بعدها لأنّ العمل الذي عمله الخضر ذريعة للغرق ولم يقع الغرق بالفعل»**[2].

[1] – نفسه.

[2]– ابن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج15، ص375.

- السّلم الحجاجي:

وهو ما يمكننا تمثيله في سلّم حجاجي:

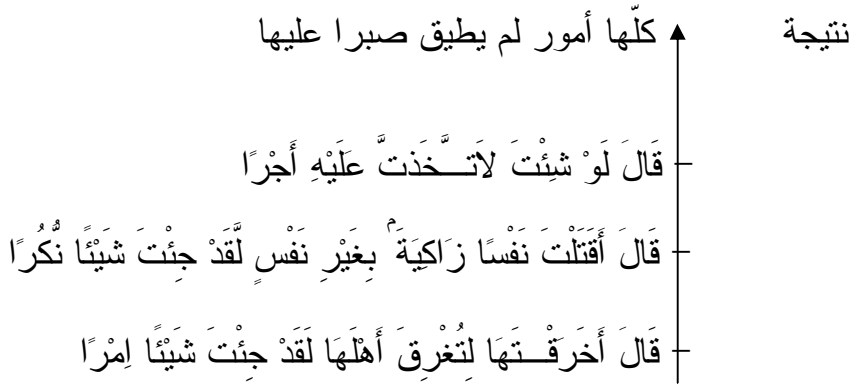

- أفعال الكلام:

نتقصّى فيما يلي آخر مظاهر العلاقة العموديّة، وهي أفعال الكلام.

هيمنت على هذه المحادثة أفعال الاستفهام الإنكاريّة من الجانبين، إذ كرّر سيّدنا موسى إنكاره لأفعال الخضر، ثلاث مرّات من خلال استفهامين إنكاريّين هما قوله:

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْــتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا**﴾ [الكهف: 71]

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةَ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكُرًا**﴾[الكهف: 74]

﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيــَةٍ اِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبــَوَا اَنْ يُّضَــيِّــفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَــّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾[الكهف: 77]

ومن جهته أنكر الخضر على موسى قلّة صبره وقد جاء ذلك في استفهام غرضه اللّوم في قوله: ﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُلِ اِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 72]

ثم في قوله: ﴿**قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[الكهف: 75]

«مرّتين في الآية الثّانية والسّبعين والخامسة والسّبعين وهو استفهام تقرير وتعريض باللّوم».[1] على سيّدنا موسى عليه السّلام الذي كان قد أكّد في البداية أنّه سيكون صابرا، ولن يعترض أو يعلّق على كل ما سيشاهده في طريقه على يدي العبد الصّالح، إلا أنّه بادر في كلّ مرّة بخرق هذا الاتّفاق فاستحقّ اللوم على ذلك من العبد الصّالح.

أمّا قوله: ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [الكهف: 78] ففيه تعريض باللّوم على عدم الصّبر. هذه الأفعال طبعت العلاقة بين المتخاطبين بالتّوتّر الشّديد والحرج، لولا أن تخللتها بعض الأفعال الّتي خفّفت من حدّته، والتزام الأدب الجمّ من طرف سيّدنا موسى، من حيث عمد إلى عرض رغبته في التّعلم بصيغة الاستفهام: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: 66]

وإظهار الطّاعة للخضر في قوله ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: 69]

والاعتذار في قول سيّدنا موسى ﴿**قَالَ لاَ تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنَ اَمْرِي عُسْرًا**﴾[الكهف: 73]

وقوله:﴿**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا**﴾ [الكهف: 76]وفي كلام سيّدنا موسى عليه السّلام **«إقرار ضمنيّ من سيّدنا موسى بمكانة الخضر العلميّة وتفوّقه عليه في هذه المحادثة».**[2]

وانطلاقا من كل هذه المعطيات المسجّلة في قول سيّدنا موسى عليه السّلام، والتي تثبت تراجعه عن قراره الأوّل المتمثّل في إثبات القدرة على الصبر، وتحديه للرجل الصالح بإظهاره العزم الكامل على التّحمّل والطّاعة الكليّة وعدم المعارضة، إلى ترك العذر في النّهاية للخضر عليه السّلام بتركه وبالتّالي إنهاء اللقاء الذي جمعهما، وهذا كلّه يثبت نجاح الخصر عليه السّلام في إقناع سيّدنا موسى عليه السلام أنّه على علم لا يعلمه هو، إذ قدّم له حججا أكّدت على صحّة قراراته ومن ثم أفعاله التي أقدم عليها والمبنية كلّها على أمور غيبية

[1] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 376.

[2] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم: ص 215.

أطلعه الله عليها، وهو الأمر الذي أقرّ له به سيّدنا موسى في النّهاية حين أعلن استسلامه وتراجعه عن تحدّيه، وهو ما يمكن رسمه وتمثيله في هذا السّلّم الحجاجي.

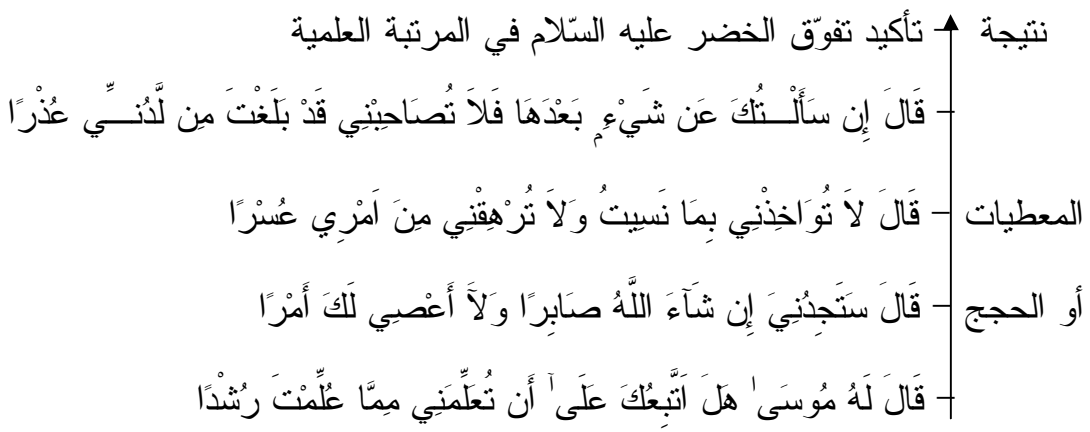

سلّم يثبت تفوّق الخضر في المرتبة العلميّة من جهته

عليه السلام بتراجعه عن قراراته

الفصـــل الثّـــاني

الحجاج التنازعي

- الخطاب التنازعي
- حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون والملأ
- حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع القوم

تقديم:

نتطرّق في هذا الفصل إلى نوع آخر من الحجاج في قصص سيّدنا موسى عليه السّلام وهو**(الحجاج التنازعي)** وقد اخترنا وضعها تحت هذه التّسمية، لتوفر شروط الخطاب التّنازعي فيها من تعدّد الأطراف، وتعدّي المخاطب خصمه أثناء العملية الحجاجية إلى الجمهور الحاضر وسنتطرّق في هذا الفصل لحجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون، وكذا حجاجه مع قومه بني إسرائيل. نحاول أن نبيّن كيف يتمظهر هذا التّنازع في خطابات سيّدنا موسى مع فرعون، ومن هي الأطراف المتنازعة للخطاب في النّص القرآنيّ. لكن قبل ذلك يتوجّب علينا تحديد هذا النوع من الخطاب، وأن نعرّف بأهم خصائصه التي يتميّز بها عن غيره من الخطابات الأخرى.

– **التبليغ التنازعي:** لئن شاع المفهوم التّقليدي للتواصل الّذي وضع أسسه رومان ياكبسون **jakobson** والّذي «**يَعتبِر التّبليغ تبادلا متناسقا للمعلومات، يشمل الباث والمتلقي والخبر**»[1] فإنّ هذا الشّكل قد خضع للإثراء، والتطوير، والزّيادة لكنّه بقي محافظا على الإطار العام الّذي يقتضي أن تكون الأخبار مفهومة ومعتقدا بها، يتقاسمها المتخاطبون دون أي صراع أو نزاع حول معانيها، غير أنّ الواقع يفرض صورة أخرى تماما، فالحقيقة تؤكّد أنّ التفاعلات في أيّ مجتمع لا تخرج في تأسيسها عن هذا الطّابع النّزاعي للعمليّة التّبليغيّة، ومع ذلك «**إلاّ أنّنا لا نزعم أنّ الحياة اليوميّة أو الحياة الاجتماعيّة هي كلّها نزاعات وحروب شاملة رمزيّة كانت أم حقيقية.**»[2] ولا تكمن وظيفة اللّغة فقط في تبليغ الأخبار والمعلومات بقدر ما هي «**نضال وكفاح وهزيمة ومقاومة وثورة. إنّها وظائف اجتماعيّة للّغة تنضاف إلى الوظيفة الدّائمة الوجود، هي التّبليغ.**»[3] هذه النّظرة الجديدة لمفهوم التّواصل صاغها وأرسى أسسها السويسري **أولي وندِيش Uli Windish**.

خصائص الخطاب التنازعي: الخطاب التنازعي هو خطاب مضاد لخطاب آخر، إذ إنّ غاية صاحبه هي أن يستفيد خطاب هذا الآخر من خطابه بغرض رفضه ونفيه ودحضه والحطّ منه، وفي الأخير فرض خطابه هو.

---

[1] – عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري، ص 218.

2 - Uli Windish (1987): Le K.O verbal: La communication conflictuelle, l'âge d'homme , Lausanne, p17

3 - Uli Windish: op. cit, pp18 – 19.

تعدد الأطراف في الخطاب التّنازعي:

زيادة على التّعنت الّذي يسم المخاطب في هذا النّوع من الخطابات، فإنّ اهتمام المرسل يتعدّى المرسل إليه إلى الجمهور الّذي يشكّل طرفا آخر على قدر من الأهميّة كبير، وهو الجمهور الحاضر، ولهذا فإنّ المرسل لا يأخذ في الحسبان خصمه فقط، بل يولي الجمهور الشّاهد على النّزاع اهتماما خاصا فالمقصود من أيّ **«خطاب نزاعي ليس الطّرف ذاته بقدر ما هو تعدّد الأطراف، أي كلّ من هو طرف في النّزاع»**[1] ومعنى ذلك أنّ الأهداف الّتي يسعى إليها صاحب الخطاب النّزاعي، تصبّ كلّها فيما يلي:

«- محاربة أفكار وطروحات الخصم.

- الانتصار لأفكاره وطروحاته.

- إشراك الجمهور وإشهاده على رهانات النّزاع»[2]

وهو ما قام به كل من سيّدنا موسى عليه السّلام، مع فرعون أمام الملأ، وأمام أعين النّاس عامّة كما نتبيّن ذلك فيما بعد أثناء التّحليل.

موضوع الخطاب التّنازعي وسمات الخصم فيه:

1- **موضوعه:** يمكننا تحديد موضوع الخطاب التّنازعي في شخص المخاطب الذي يكون خصما للمخاطب، لأنّ **«الموضوع الأوّل للخطاب التّنازعي هو الخصم»**[3] وفي قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام كما يرويها لنا النّص القرآني، كان أوّل ما افتتح به الله سبحانه وتعالى الرّسالة التي بعث بها سيّدنا موسى إلى فرعون قول الحقّ عزّ وجلّ: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى**﴾[طه: 43] وفرعون هذا الّذي يُرسل الله العزيز القدير إليه سيّدنا موسى عليه السّلام على الرّغم من أنّ كليم الله قد تربى في بيته، وكان المفروض أن تكون بينهما علاقة قرابة فيها شيء من الودّ والحميميّة، إلاّ أنّ الله العليم الخبير بعباده كان قد قدّر شيئا آخر تماما بينهما، لأنّ علاّم الغيوب أمر أمّ موسى عليه السّلام حين خافت عليه(من فرعون وجنوده أن يقتلوه) أن تلقيه في التّابوت وأن تُلقي التّابوت في اليمّ، وحينها أخبرها أيضا أنّ الّذي سيلتقطه هو عدوّ الله(فرعون الطاغية) والّذي سيكون في المستقبل عدوّا لابنها هذا(سيّدنا موسى عليه السّلام) يقول الحق:

---

1 - Uli Windish: op. cit. p. 26.

2 - عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 216

3 - Uli Windish: p25

﴿إِذَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓأَنِ اِقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ﴾[طه:38 – 39]

2- سمات الخصم في الخطاب التنازعي من خلال المدوّنة:

- **الخصم عدوّ شخصي:** يمثّل فرعون عدوا شخصيا لسيدنا موسى عليه السلام، يبين ما نقول قوله تعالى مخاطبا أمّ سيدنا موسى حين وضعته: ﴿**أَنِ اِقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ**﴾[طه: 39]

- **سلبية الخصم:** يتميز الخصم في الخطاب التنازعي بموقفه السلبي، حيث يعمل دائما على رفض الخبر الّذي شكل أساس اعتقاده من قبل، ولقد تحدّث الله العليم بهم الخبير بحقيقتهم، فبيّن أنّهم كانوا جاحدين للحق بعدما تبيّن لهم، واستيقنوا أنّه من ربّهم، فكانوا بذلك ظالمين أنفسهم باستعلائهم فحقّ عليهم غضب الله: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النّمل: 14]

- **تناظر الخصمين المتنازعين:** يبدو واضحا من قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام كما يرويها النّص القرآني كيف كانت الأدوار تتبدّل بينهما، حيث يأخذ كل منها دور المتلقي والمرسل بالتناوب، ويظل العنصر التناظري مستمرا «**إذ يصير المهاجم ضحيّة والضّحية مهاجما. وهذا الوضع يعتبره ونديش قاعدة من قواعد التخاطب التّنازعي.**»[1] وهذا ما لمسناه في خطابات سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وهي خاصية أساسية من خواص كل خطاب حجاجي، لكن ما يبدي حقا التنازع بين طرفي الخطاب هو«**أن تتحوّل الإجابة إلى خطاب تنازعي جديد، لأنّ الضّحية لن تظل ساكتة بل ستعمل على الإجابة على المهاجم خاصة إذا كان ذلك بحضور الشّهود لأنّ الصّمت يضفي طابع الحقّ على خصمه**»[2] وسنرى كُلاًّ من سيدنا موسى وفرعون وهما يتبادلان دور الضحية والمهاجم بحضور الجمهور، حيث حضر الملأ موقف بداية الدعوة داخل القصر، ويوم الزّينة كان الملأ والسحرة والقوم. وحضور الجمهور يمثّل قاعدة هامة، من قواعد الخطاب التّنازعي.

[1] – عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 216.

[2] – نفسه، ص 216.

ولعل أهم سبب يقوم عليه التنازع بين الطرفين، أنّ المتخاطبين غير متساويين فالمتخاصمان لا يتساويان، مثلما هو الحال في أيّ حوار، فالخطاب التّنازعي **«تحدّده العلاقات الّتي انعدمت فيها المساواة وهي علاقات تراتبية في الأصل، ويسعى إلى تكريس هذه اللامساواة وتلك التراتبية؛ لذلك تظل الرّغبة في الهيمنة هي الخاصية المركزية للخطاب التنازعي».**[1] ومع ذلك يحاول كلّ طرف أن يحافظ على المكانة التي هو فيها، معتمدا في ذلك على مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية التي تساعده على بلوغ تلك الغاية، وإثبات التّفوّق على الخصم.

- **الاستراتيجيات الخطابيّة في الخطاب التّنازعي:** يؤكّد **Uli wendich أولي وندش** على وجود بعض الاستراتيجيات الخطابيّة التي يعتمدها المرسِل في الخطاب التنازعي، والتي تمكنه من احتواء الخصم والتلاعب به كما يشاء، نذكر من بينها:

- عدم الاعتماد على الخطاب المنقول والمباشر للخصم(...).
- اعتماد النفي والدحض لكل طروحات الخصم.
- السخرية من الخصم والانتقاص من قدره وشخصه أمام الغير مع إظهار الجدية في الطرح والمعارضة.
- إشعال حرب خفية ضد الخصم وذلك بتأليب الرأي العام وتمويه الجماهير وشحنها ضدّه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ **«أيّ مشروع حجاجيّ تتوفّر فيه المصداقيّة لا بدّ أن يأخذ بعين الاعتبار ويدمج وجهة النّظر ورؤية العالم والتّمثّلات الاجتماعيّة والهويّة الاجتماعيّة لخصمه وللجمهور المستهدف»**[2]. وهذا الإدماج يجرّنا إلى التّساؤل عن طبيعة العلاقات بين أطراف الخطاب (المخاطِب، والمخاطَب، والجمهور المستهدف)وهذه العلاقات قد تكون علاقات واقعيّة، وموضوعيّة وقد تكون علاقات ترغب الذّات المتكلّمة، في وضعها بينها وبين الآخرين، وقد تكون علاقات وهميّة. ويخلص وندش إلى أنّ المزج بين الحجاج اليوميّ، والعلاقات، والتّمثّلات الاجتماعيّة وهويّة المخاطبين الاجتماعية، يفضي إلى دراسة القضايا الآتية:

«-الاستراتيجيات والإجراءات الخطابية المستعملة في سبيل إضفاء الشّرعيّة على الخطاب الخاص.

- الاستراتيجيّات والإجراءات الخطابيّة المستعملة في سبيل إسقاط شرعيّة خطاب الخصم.

---

[1] - عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 221.

2 - Uli Windish: Le K.O verbal: p. 68.

-الفعل الحجاجيّ الّذي يسمح لي بتثبيت مكاني، وإضفاء الشّرعية عليه.
-الفعل الحجاجيّ الّذي يسمح لي بنفي وإزالة الشّرعية عن مكان خصمي.
-التّصور أو التّمثّل الاجتماعيّ الّذي يسنده المتكلّم لنفسه، بواسطة نشاطه اللّغوي والحجاجيّ.
-التّصوّر أو التّمثّل الاجتماعيّ الّذي يسنده المتكلّم لغيره ليسمح له بالتّحدّث عنه بذلك الأسلوب.
-طبيعة العلاقة(واقعيّة، مرغوب فيها، وهميّة)الّتي يريد المتكلّم أن يفرضها مع الآخر بواسطة النّشاط اللّغويّ.
-وفي أقصى حدّ قد تكون العلاقة استيهاميّة إذ قد تكون الغاية تحبيبا أو تبغيضا.»[1]

- **الحجاج في الخطاب التنازعي:** إذا تحدّثنا عن موقع الحجاج ضمن هذه النظرية، فإنّنا نقول إنّ الحجاج «**هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب وتنتج عن عمل المحاجّة ولكنّ هذا العمل محكوم بقيود لغويّة، فلا بدّ أن تتوفّر في الحجّة ق1 شروط محدّدة حتّى تؤدي إلى ق2 لذلك فإنّ الحجاج مسجّل في بنية اللّغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغيّة مقاميّة.**»[2] فالخطاب وسيلة للحجاج، وهو في الوقت نفسه منتهى هذه الوسيلة، وهذا ما جعل ديكرو يميّز بين نوعين من الأفعال: «**الفعل الحجاجيّ المتمثّل في حمل الطّرف الآخر، بمقتضى إصدار قول ق1، على فهم ق2، وفعل الاستدلال الّذي يُعرف بأنّه فعل يتوقّف تحقيقه على إنتاج ملفوظ**»[3].

- **حجاج سيّدنا موسى عليه السلام مع فرعون:**

أثار موضوع الرّسالة الّتي أتى بها سيّدنا موسى عليه السّلام إلى فرعون(أنّه رسول الله) أجواء مكهربة أذنت باندلاع حرب بينهما، لم تكن لتنتهي إلاّ بالنّهاية الّتي رسمها الله لها، فقد تنازع الخصمان في كلّ مرّة يلتقيان فيها أمام جمهور، اتّسعت دائرته بعد كل لقاء يجمعهما، حيث كان أوّل لقاء داخل القصر، وسجّل لنا القرآن في آياته أنّ الحجاج بينهما دار أمام أعين الملأ وعلى مسامعهم، أمّا اللّقاء الثّاني فكان بعد أن جُمِعَ النّاس لميقات يوم معلوم(يوم الزّينة)

[1] - عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية وحجاجيّة للصّحافة الجزائريّة، ص220-221.
[2] - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللّغة، ص 360-361.
[3] - نفسه: ص 10.

بحضور السّحرة، الّذين حُشِروا لتحدّي برهان الله السّاطع، الّذي أيّد به نبيّه، ورسوله الكليم موسى عليه السّلام، وجرى التّحدّي أمام عامّة النّاس إضافة إلى فرعون وملئه، وكلّ هذا في سبيل إرساء الحق وإظهار الحقيقة. وكان كلّ طرف يحاول اعتماد الطّريقة أو الإستراتيجية الّتي تظهره بمظهر القوّة أمام الطّرف الآخر، وخاصّة أمام جمهور النّاظرين. فأيّ مشروع حجاجي تتوفّر فيه المصداقيّة لا بدّ أن يأخذ بعين الاعتبار ويدمج « **وجهة النّظر ورؤية العالم والتّمثّلات الاجتماعيّة والهويّة الاجتماعيّة لخصمه وللجمهور المستهدف**»[1].

- **العلاقات التّخاطبيّة بين الأطراف المتنازعة:** لا بدّ من معرفة المخاطَب الذي نوجّه إليه الخطاب، لإنجاح عملية الحجاج، لأن ذلك سيساعد المخاطِب على رسم الإستراتجيّة اللّازمة للتّعامل معه، من أجل إقناعه بالحجة. وسيّدنا موسى عليه السّلام، في هذه المرحلة يعرف خصمه معرفة جيّدة، فهو ربيّ بيته لهذا لم يصعب عليه تحديد إستراتيجية تمكنه من التعامل مع فرعون ومن معه، دون خوف ولا تردد ولا تهاون، وهذه الإستراتيجية التي رسمها كفيلة بأن تساعده على التعامل مع الموقف بحزم، فالرسالة التي كلّفه الله سبحانه وتعالى بها، رسالة جليلة لذا أراد الرسول الأمين وهو من أولي العزم من الرّسل أن يكون في مستوى الرّسالة، لأنه على علم ويقين أن المنهج الذي رسمه له الله سبحانه وتعالى لن يكون كافيا لأن اللين مع فرعون لن يجدي نفعا، بل قد يكون سببا في طغيانه وتماديه، وذلك مما لن يصبر عليه، لأنه يريد أن يقوم بذلك وهو منشرح الصّدر مستعينا في ذلك كله بالله، وهذا نص طلبه في القرآن الكريم:

﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ﴾[طه: 25]

﴿**وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي**﴾[طه: 26]

﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[طه: 27- 28]

﴿**وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنَ اَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[طه: 29-32]

﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ**﴾[القصص: 33]

﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقْنِي إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ**﴾ [القصص: 34]

[1] - Windisch: Le K.O verbal: p. 68.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلِ إِلَىٰ هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: 12- 14]

وكنا رأينا في حجاج سيّدنا موسى عليه السلام مع الله سبحانه وتعالى، أن الله قد استجاب له في كل ما طلبه منه، وزاده بأن وجّهه هو وأخوه هارون عليهما السلام إلى السبيل التي يتوجّب عليهما إتباعها مع فرعون الطاغية، ثم طمأنهما عليهما السلام بأنّه سيكون معهما، يسمع ويرى كل صغيرة وكبيرة ﴿قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:46] ولن يدع لفرعون ومن معه عليهما سبيلا.

- إستراتيجيّة سيّدنا موسى عليه السّلام في الادّعاء وإلقاء الدّعوة:

استجابة لتوجيهات الله العليم الخبير، انتهج سيّدنا موسى عليه السّلام السّبيل التي لقّنه إيّاه، بقوله عزّ من قائل لهما:

﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه:44]

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولآَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 47- 48]

والقول اللّيّن في حدّ ذاته آلية من آليات التقرّب من الخصم، إذ يساعدنا في ترغيب الخصم، من أجل قبول القضيّة الجديدة المطروحة دون مجابهة علنية «**والقول اللّيّن الكلام الدّال على معاني التّرغيب والعرض والامتثال، بأن يُظهر المتكلّم للمخاطب أنّ له من سداد الرّأي ما يتقبّل به الحق والباطل مع تجنّب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب وتجهيله. فشبّه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين**»[1] ولعلّ ما يثبت ما نذهب إليه قول موسى عليه السلام مفتتحا الخطاب بينه وفرعون: (يا فرعون) إذ دعاه بلقبه الذي يدل على السلطة والاحترام ولم يكن ذلك منه نداء تقديس كما يفعل الملأ معه بل كان تطبيقا لمنهج الله سبحانه وتعالى، فالظاهر أنّ خطاب موسى لفرعون بقوله:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾[الأعراف: 104 – 105]

[1] -ابن عاشور: التحرير والتّنوير، ج16، ص225.

كان منه عليه السّلام **«خطاب إكرام لأنّه ناداه بالاسم الدّال على الملك والسّلطان بحسب متعارف أمّته فليس هو بترفّع عليه لأنّ الله تعالى قال له ولهارون(فقولا له قولا ليّنا) والظّاهر أيضا أنّ قول موسى هذا هو أوّل ما خاطب به فرعون، كما دلّت عليه سورة طه»**[1] كما أنّ موسى وأخاه هارون عليهما السّلام حين قاما بدعوة فرعون لإخلاء سبيل بني إسرائيل لم يطرحا الفكرة بلهجة خشنة، ولم يتّهماه صراحة بالجبروت والتّسلّط إذ قالا له في تلك اللحظات مخاطبين إيّاه:

﴿فَاتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[طه: 47]

فبما أنّهما يطالبانه بإطلاق سراح القوم، فهذا يعني أنه فيما مضى كان يستعبدهم، ويستغلّهم ويعذّبهم دون أدنى حق.

– **إستراتيجية تعريضيّة(تلميحية للدعوة):** اعتمد سيّدنا موسى في البداية أمام فرعون على التّلميح في سبيل إيصال الرّسالة، مستعينا في ذلك بضمير الخطاب، تعريضا به من أجل تبليغه رسالة الله العلي القدير.

– **ضمير الكاف:** يقول سبحانه وتعالى:

﴿فَاتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[طه:47]

فقد أضاف**«أضاف سيّدنا موسى اسم الرّب إلى ضمير فرعون "ربّك"، وفي ذلك دعوة ضمنيّة ليعترف بأنّ الله ربّه وأنّه ليس هو الرّب»**[2] يقول ابن عاشور: **«وخصّا الرّب بالإضافة إلى ضمير فرعون قصرا لأقصى الدّعوة، لأنّ كون الله ربّهما معلوم من قولهما: ﴿إنا رسولا ربك﴾ وكونه ربّ النّاس معلوم بالأحرى لأنّ فرعون علّمهم أنّه الرّبّ»**[3] حيث علّم فرعون القوم أنّه هو الرّبّ لا يشاركه في ذلك أحد، قال تعالى: **﴿هَلَ اَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى. اذْهَبِ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَّكَّىٰ.**

[1] – ابن عاشور: التحرير والتّنوير، ج10، ص37.

[2] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص154.

[3] – المرجع السّابق: ج 16، ص229.

وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ. فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ. فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ. ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ. فَحَشَرَ فَنَادَىٰ. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 15-24]

إضفاء الشّرعية على الخطاب وذلك باعتماد الأدلّة المقنعة وإثبات الدعوة:

- **إثبات الادّعاء:** اعتمد الرّسولين الكريمين في إثبات ادّعائهما، برسالة رب العالمين**﴿وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَاتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[طه: 46]

على العديد من الحجج، وكانت في البداية حججا قوليّة مقنعة تنفيذا لأوامر العليم الخبير، وهي مبثوثة في سور عدّة نوردها على التّوالي كما يرويها النّص القرآني.

- **دعوة الجمهور ومحاولة إشراكهم في الدعوة:** حاول سيّدنا موسى عليه السّلام إشراك الجمهور الحاضر، وذلك بتوجيه الخطاب إليهم أيضا بعدما كان في البداية يخصّ به فرعون وحده، فبعد أن كان يحدّد المخاطب في فرعون دون غيره بقوله(ربك) باعتماد ضمير الخطاب الفردي، أصبح يقول إن (كنتم) (ربكم) (آبائكم) وغيرها الدّالة على توجيه الكلام لجميع الحضور، فقد قال لهم مخاطبا:

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[الشعراء: 24]

﴿قال تعالى: قَالَ رَبُّكُم وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء: 26]

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء: 28]

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: 30]

﴿قَالَ رَبُّنَا الذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: 50]

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾[طه: 52]

﴿الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَادًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[طه: 53]

﴿كُلُواْ وَارْعَوَاْ أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ﴾[طه: 54]

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه:55]

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[طه:56]

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[الشعراء: 32-33]

* **سلمية حججه عليه السلام:** لقد ساق سيدنا موسى عليه السلام مجموعة من الأدلة في سبيل إقناع فرعون، هذه الأدلة تدرجت من القوية إلى الأكثر قوة، نحاول تمثيلها في سلم حجاجي حسب درجة قوتها كما يبينها الشكل التالي:

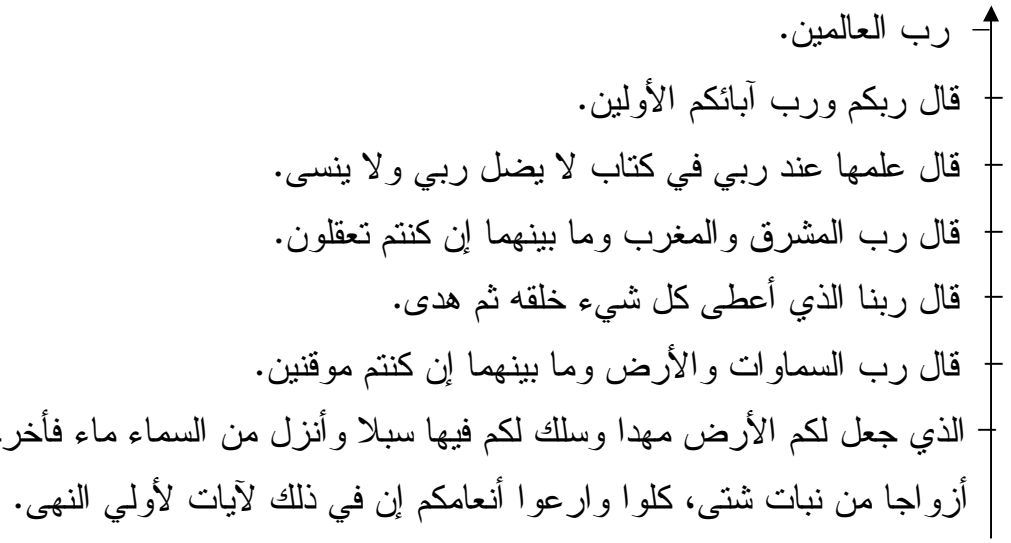

لقد ادّعى سيّدنا موسى عليه السّلام أمام فرعون أنّه رسول مرسل من رب العالمين إليهم، ودعاه على هذا الأساس أن يرسل معه بني إسرائيل وأن يخلي سبيلهم، ويرفع عنهم يده وسلكته، ولإثبات ادّعائه هذا ساق مجموعة من الحجج الدّالة على قدرة الله سبحانه وتعالى كما هي مبيّنة في السلّم الحجاجي.

– **الفضح:** قال الله سبحانه وتعالى على لسان موسى مخاطبا فرعون ﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ**﴾[الشعراء:22] حيث فضح سيّدنا موسى عليه السّلام فرعون أمام الملأ فتربيته عليه السّلام في قصر فرعون كانت نتيجة حتميّة، أرادها الملك القدّوس بداية لنهاية استبداده الّذي مارسه على بني إسرائيل منذ عقود، خوفا من ميلاده، وهو ما جابهه به الرّسول الأمين، لأنّ أمه (أمّ سيدنا موسى)إنّما دفعت به ووضعته بين أمواج البحر بوحي من الله، حماية له من فرعون وجنده الذين قتلوا كل مولود ذكر من بني إسرائيل خوفا من ميلاده، بالتالي يكون حرمه دفء العائلة وحنان الأم، لولا أن أعاده الله إليها لتقرّ عينها ولا تحزن عليه، فهل هذا مما يمتنّ به شخص عاقل على آخر؟ يقول الشّعراوي في تخريج خطاب سيّدنا موسى لفرعون «**أي هل تمنّ عليّ بهذه الأشياء الّتي فعلتها معي من تربية ورعاية؟ هل هذه الحسنة تقارنها**

بما تفعله مع بني إسرائيل، من ذبح الأطفال الذّكور واستحياء النّساء واستعباد الرّجال، فهل هذا يقارن بما تفعله في حقّ قومي؟»[1]

كما اعتمد سيّدنا موسى عليه السّلام أيضا في فضح فرعون على لفظة عبّدت «**ومعنى عبّدت أي جعلتهم عبيدا.**»[2] فالله سبحانه وتعالى خلقهم جميعا أحرار، فلا سلطة لشخص على آخر، ولا لقوم على آخر، وهو بذلك يفضح ما كان منه منذ أمد طويل، ممّا كان يدّعي أحقّيته «**وكلام موسى(...) نقض لامتنان فرعون بقلب النّعمة نقمة بتذكيره أنّ نعمة تربيته ما كانت إلا بسبب إذلال بني إسرائيل، إذ أمر فرعون باستئصال أطفال بني إسرائيل الذي تسبّب عليه إلقاء أمّ موسى بطفلها في اليمّ حيث عثرت عليه امرأة فرعون ومن معها من حاشيتها(...) وفيه أنّ الإساءة إليه مع الإساءة إلى قومه لا يزيد إحسانا ولا منّة**»[3] وكنّا رأينا أنّ من استراتيجيات المخاطِب في الخطاب التّنازعي أن يعمد إلى نقض حجج الآخر، بكلامه وبذلك ينتزع الشرعية على ادّعاءات الخصم.

– **التّعريف:** كان سيّدنا موسى عليه السّلام، مستعدا لإثبات دعواه، كما رأينا في الأدلّة السّابقة التي تعرضنا لها، ولما كان أوّل سؤال لفرعون عن إله سيّدنا موسى يتعلّق بإثبات ماهية رب العالمين، كان جواب سيّدنا موسى عليه السّلام «**بيانا لحقيقة ربّ العالمين لما يصيّر وصفه بربّ العالمين نصّا لا يحتمل غير ما أراده من ظاهره فأتى بشرح اللّفظ بما هو تفصيل لمعناه، إذ قال ربّ السّماوات والأرض وبعموم ما بينهما حصل بيان حقيقة المسؤول عنه بـــ(ما). ومرجع هذا إلى البيان أنّه تعريف لحقيقة الرّبّ بخصائصها لأنّ ذلك غاية ما تصل إليه العقول في معرفة الله أن يعرف بآثار خلقه**»[4] فقد جاءت حجّة سيّدنا موسى عليه السّلام لفرعون جوابا عن سؤاله (ما رب العالمين) تتضمّن في طيّاتها«**تنبيها على أنّ الاستدلال على ثبات الخالق الواحد يحصل بالنّظر في السّماوات والأرض وما بينهما نظرا يؤدّي إلى العلم بحقيقة الرّبّ الممتازة عن حقائق المخلوقات**»[5] وهكذا فقد عمد إلى تحويل تفكيره في ماهية ربّ العالمين

---

[1] – محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 284– 285.

[2] – نفسه: ص286.

[3] – ابن عاشور: لتحرير والتّنوير، ج19، ص115.

[4] – نفسه: ص 117.

[5] – نفسه.

إلى «**النّظر في المصنوعات الدّالة على ما يجب لصانعها سبحانه وما يستحيل في حقّه وهو معنى قول نبيّنا صلى الله عليه وسلّم تفكّروا في الخلق ولا تفكّروا في الخالق(لأنّ التّفكّر في الخلق يحصل به العلم بوجه دلالته على الخالق سبحانه وتعالى فيحصل العلم بالخالق سبحانه وتعالى من غير تفكّر في الخلق)**»[1] فانتقل سيّدنا موسى عليه السّلام بفكر فرعون من موضوع تبيين ماهيّة رب العالمين إلى إثبات قدرة الله المتجسّدة في الكون بما فيه وذلك عن طريق التّعريف التّفسيري الذي «**يحوّل انتباه السّامع أو السائل من موضوع إلى موضوع، تثيره العملية التّفسيريّة دون وعي منه**»[2] أي دون وعي من المخاطب، الذي يجد نفسه بعد ذلك مزحزحا عن فكرته التي تكون ساذجة، ومواجها بفكرة أخرى أقوى، يتعيّن عليه الخوض فيها، لأنّ المخاطب وبذكاء يجرّه بتفسيراته للحديث في الأمور التي كان يتجنّبها.

– أما قوله تعالى على لسان سيدنا موسى ﴿**قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[الشعراء:28] ففيه «**التنبيه على ما بهت به نمرود قبل فرعون لأن رب السماوات هو مجري أفلاكها ومطلع نيراتها وليس لفرعون في شيء من ذلك تصرف**»[3] لأنّ سيّدنا موسى عليه السّلام لمّا رأى بعد أفهام فرعون ومن معه عن معاني الحجج التي قدّمها لهم، وحاول إقناعهم بها «**انتقل موسى إلى ما لا قبل لهم بجحده والتباسه وهو التّصرّف العجيب المشاهد كلّ يوم مرّتين، كما انتقل إبراهيم عليه السّلام من الاستدلال على وجود الله بالإحياء والإماتة لمّا تموّه الأمر على النّمرود(...) بطلوع الشمس(...) فكانت حجّة موسى حجّة خليليّة**»[4]

أما قوله:﴿**قَالَ رَبُّكُم وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الاَوَّلِينَ**﴾[الشعراء: 26] وتمثّل هذه الحجّة التي ساقها هذه المرّة سيّدنا موسى على فرعون ومن معه تنبيها «**لفرعون على أنه مولود حادث فكيف يغلط في نفسه هذه الغلطة الشّنيعة. فلمّا أحسّ اللّعين خلع قدميه عن دعواه بإقامة البيّنات وسمع ما لا يشكّ فيه من أنّه مولود فدلّ على أنّه كائن بعد أن لم يكن، فهو مربوب، وعلم انقطاعه وأن لا مدفع له في ذلك، أخرج الكلام عن مقصود السؤال والجواب إلى تحريف القول وهي**

---

[1] – السكوني أبو علي عمر: عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، د.ط، 1976، ص 85.

[2] – عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 143.

[3] – نفسه: ص 86.

[4] – ابن عاشور: التحرير والتّنوير، ج19، ص120.

حالة المنقطع»[1] فاتّجه إلى القوم خاطبا فيهم مغالطا لهم، بإعلان سخريته من رسول الله المبعوث إليهم، الذي نعته بالجنون في قوله:

﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾[الشعراء: 27]

وإلاّ لكان مؤمنا بإقراره له بالرّسالة، فهو باعترافه رسول مرسل، ولكنّه ليس مرسلا إليه بل إلى القوم، ذلك أنّ سيّدنا موسى وسيّدنا هارون عليهما السّلام، قالا له في بداية الدعوة (**إنا رسولا ربك**).

الحجّة الفعليّة: كان لابد إذن ليسدنا موسى أن يظهر المعجزات، فلقد كان مستعدا للتدليل على صحة ما آتاه الله من البينات وعلى أنه رسول مؤيد من ربّه بالأمور الخوارق، فقال مجابها فرعون و دون أيّ تردّد﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ** ﴾[الشعراء: 30] أي أولو أتيتك بشيء يبين ويوضح صدق نبوتي ومضمون رسالتي أكثر مما فعلت. وهو من شروط الفعل الحجاجي كما رأينا مع طه عبد الرحمان الذي أسماه بالادعاء.

وهكذا فإن سيدنا موسى عليه السلام قد أتى في كل موقف بحجة أقوى من سابقتها، وهو ما يمكننا رسمه في سلم حجاجي.

- إستراتيجية فرعون في مواجهة الدّعوة:

أ- في بداية الدعوة:

إستراتيجية تعريضية لرفض الدعوة:

اعتمد فرعون في البداية نفس إستراتيجية سيدنا موسى عليه السلام التي اعتمدها في تبليغه أمر الرسالة، على أن ذلك لا يدل على أنه استجاب للأمر ودخل في الموضوع بالطريقة التي كان سيّدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام يرومانها، فقد كان فرعون الطاغية، مستعدا أن يضرب عرض الحائط، كل دعوة تأتيه من أي كان في سبيل الحفاظ على عرشه، سبب قوته وجبروته، قال الحق جل وعلا على لسان فرعون في تلك اللحظات ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَىٰ**﴾ [طه: 49] حيث عمد فرعون إلى اعتماد «**الإستراتيجية التلفظية نفسها إذ أضاف الرب إلى ضمير موسى وهارون في قوله(ربكما) وفي هذا رد ضمني برفض دعوة**

[1] - السكوني: عيون المناظرات، ص 86.

سيدنا موسى بأن الله ربهما فقط، وأنه لا يعترف بالله ربا»[1] يقول ابن عاشور: «**وإضافته الرب إلى ضميرهما لأنهما قالا له ﴿فَاتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ﴾ وأعرض عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَىٰ﴾ إعراضا عن الاعتراف بالربوبية ولو بحكاية قولهما»**[2] وقد يكون ذلك أيضا تعريضا بهم، ورفضا لأن يكون هذا الإله الذي يزعمانه إلها لقومه الذين معه أيضا بالتعدية، لأنه إن كان ربه هو فالأولى أنه رب قومه الذين يعبدونه.

*** الفضح:**

حاول فرعون الانتقاص من قيمة سيّدنا موسى عليه السلام أمام الملأ، فاضحا إياه أمامهم من أجل إثارة جمهور الحاضرين ضدّه بقوله مذكّرا إياه ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[الشعراء: 18- 19]

هذا القول في الحقيقة موجّه إلى القوم، ليوقع في عقولهم أنّ هذا الساحر الذي أتاهم مدّعيا أنّ الله سبحانه قد أرسله إليهم ما هو إلاّ ذلك الفتى الشقي، الذي ارتكب جريمة في حقهم فيما مضى وكانوا حينها قد أجمعوا على هدر دمه لولا أن حذّره مؤمن آل فرعون الذي نصحه بمغادرة أرض مصر، وهنا يقول الشّعراوي في تفسير معنى هذه الآية الكريمة «**أي أنا الذي ربيتك وأنت صغير، ورعيتك حتى صرت شابا قويا(...) وهنا فرعون يذكره بالرجل الذي قتله قبل أن يهرب إلى أرض مدين. ومعنى: "وأنت من الكافرين" إما: من الكافرين بألوهية فرعون، أو الكافرين بنعمنا عليك؛ لأننا ربيناك وأكرمناك»**[3] وبهذا يذكّر القوم بذلك الحقد الدفين وبذلك الثأر القديم الذي لا يجب تناسيه مهما تغيّرت الظروف. وهو ما يمكن اعتباره أيضا حجّة سلطة إذ كان«**قصد فرعون من هذا الخطاب إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون حيث أوجد لنفسه سببا يتذرّع به إلى قتله ويكون معذورا فيه حيث كفر نعمة الولاية بالتّربية، واقترف جرم الجناية على النّفس»**[4]

---

[1] – عائشة هديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، ص 154.

[2] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص232.

[3] – الشعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرسول، ص 284– 285.

[4] –المرجع السّابق: ج19، ص110.

*** السخرية من الخصم والانتقاص من قدره:**

والسخرية في الحقيقة «**تعني القهر والتّذليل وإخضاع الآخر، فهي مرادفة للشّعور بالأفضلية والنّظر للآخر نظرة دونية**»[1] ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ. أَمَ انَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ. فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ اَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلآَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**﴾[الزخرف: 51-53]

وكان يرجى من فرعون التفكير مليا، وإعادة النظر في كل ما واجهه به سيدنا موسى لكنه زاد تعجرفا وأضاف اتهاما آخر إلى القائمة التي وصف بها سيدنا موسى وهي عدم الصدق أو الافتراء والكذب، فقال لسيّدنا موسى عليه السّلام متحدّيا:

﴿**قَالَ فَاتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[الشعراء: 31]لأنّه كان يظنّ أنّ سيّدنا موسى عليه السّلام إنّما قال له ذلك، خوفا منه، لأنّ فرعون كان قد هدّده، بالسّجن إن هو آمن بإله غيره، وكان يظنّ أنّ حججه لا تعدو أن تكون قوليّة، وأنّه لا يمكن أن يأتي بالخوارق، والمعجزات.

ب- بعد ظهور البينات:

*** إثارة القوم ضد سيدنا موسى عليه السلام:**

قال فرعون بعدما بات مقتنعا بما يقوله رسول الله المبعوث إليهم: ﴿**فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[الشعراء: 13] محاولا استجلاب رأي الجمهور، ومغالطا إياهم، لأنّ المغالطة مبنيّة أساسا على أن يكون اللفظ المنطوق به، غير ما هو رأي صاحبه، أي لا يكون هناك تطابق بين الأمر المعتقد به، والخطاب الموجّه إلى الغير ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[الشعراء : 14]

- **الحجاج المغالط:** لجأ فرعون لمغالطة القوم والمغالطة في الحقيقة من أشكال الحجاج تتجلّى في المفارقات التي يمكن أن تسجّل بين أقوال الشخص وأفعاله«**عدم وجود الصّحّة والظّهور بمظهرها**»[2] فبعد ما أظهر النبي المصطفى موسى عليه السّلام فرعون على ما أيده الله به من البينات، كان متوقعا أن يتنازل فرعون عن دعواه واتهامه، وينهي النزاع، ويقبل بالأمر

[1] - سامية مشتوب: السّخرية وتجلّياتها الدّلالية في القصّة الجزائرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو. 2011، ص3.

[2] - عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 158.

الواقع، غير أن فرعون غير من إستراتيجيته التي تبناها في البداية، فبعد أن رأى نفسه منهزما أمام سيدنا موسى، لجأ إلى القوم مغالطا إيّاهم، وبدا اضطرابه واضحا فهو مرّة:

– يضع نفسه واحدا منهم ليظهر لسيدنا موسى أنه محاط بهم وأنهم إلى جانبه: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنَ اَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَىٰ. فَلَنَاتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَانًا سِوًى**﴾[طه: 57- 58]

– ومرّة يدّعي أنّه مهتم بأمرهم وأنّه خائف على مصلحتهم الدينيّة، فيطلب منهم أن يأذنوا له بقتله حتى يحافظوا على دينهم، لأنّه إن بقي بينهم فسيعمّ الفساد، وقوله: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّــهُ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الاَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[طه: 26]

– ومرّة يحرّضهم على سيّدنا موسى عليه السّلام.

– ومرة أخرى يطلب رأيهم فيما يجب فعله مع نبي الله موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنَ اَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَامُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ. يَاتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**﴾[الأعراف: 109-112]

وبين هذا وذاك نجده يغرق في اتهام سيدنا موسى :

– مرة بالسحر ﴿**قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنَ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَامُرُونَ. قَالُواْ أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ. يَاتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: 34-37]

– وأخرى بالجنون: مع أنه كان جادا كل الجدية فلقد قال لسيدنا موسى بعد أن بات مقتنعا بكل الحجج التي ساقها على مسامعه أمام الملأ: ﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ [الشعراء: 27]

وأخرى يحاول اللعب بالمشاعر الدينية للقوم حتى يربح ثقتهم ويتمكن من التخلص من الرسول موسى:

﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّــهُ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الاَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[غافر: 26]

﴿**فَلَنَاتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَانًا سِوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**﴾ [طه: 58-59]

- **الحجاج بالسلطة:** والحجاج بالسّلطة دليل إفلاس صاحبه في التّدليل والاحتجاج على صحّة رأيه، فيلجأ إلى سبيل القوّة والسّلطة من أجل إثبات قدرته على الإقناع مهما كانت الوسيلة، لأنّ الغاية الأولى والأخيرة لهذا المتسلّط هي فرض رأيه على الطّرف الآخر، حتى وإن كان ادّعاؤه خاطئا، ورأي الخصم صائبا، ولقد هدد فرعون سيّدنا موسى عليه السّلام وتوعده، عندما بين له سيدنا موسى حقيقة الإله الذي يدعوه إليه، . كما يبين نص الآية:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّــهُ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[غافر: 26]

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[الشّعراء: 29]

السلم حجاجي

- **جمع السّحرة ليوم معلوم**
- **أرسل في المدائن حاشرين**
- **يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون**
- **فال للملأ حوله إنّ هذا لساحر عليم**
- **قال فات به إن كنت من الصّادقين**
- **قال لئن اتّخذت إلها غير لأجعلنّك من المسجونين**
- **قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**
- **قال لمن حوله ألا تستمعون**
- **قال فرعون وما ربّ العالمين**
- **وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين**
- **ألم تربّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين**

- **إستراتيجية سيدنا موسى في مواجهته مع السحرة:**

- **قبل الإلقاء:** حاول سيدنا موسى جلب ثقة السحرة، وردهم عما هم مقدمون عليه من عمل السحر، معتمدا في ذلك على التخويف والتحذير من خطورة ما هم مقدمون عليه من أمر المجابهة والمواجهة من أجل تضليل القوم ومساندة الظلم والاستبداد:

* **النصح:** لقد جاء في القرآن الكريم قول موسى عليه السلام للسحرة:

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61]

* **الاستهانة بهم والثقة بما آتاه الله من حجة بينة:**

لقد استهان سيدنا موسى عليه السلام بذلك الحشد الكبير من السحرة الذين جمعهم فرعون لمواجهته، وبدا واثقا بل وناصحا أيضا.

- **﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[الأعراف: 115-118]

- **﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ. فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[يونس: 80- 81]

- **السّلّم حجاجي:**

- **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**
- **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ.**
- **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**
- **قَالَ أَلْقُوا.**
- **وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ**
- **فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ**
- **قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**

يبيّن السّلّم الحجاجي كما رأينا، ارتقاء سيّدنا موسى عليه السّلام، في اختيار حججه التي قدّهما للسّحرة، ليقنعهم بضرورة الكفّ عمّا هم مقدمون عليه من معارضة آيات الله سبحانه وتعالى، ولا يخفى أنّ الكف أو النّهي ما هو إلاّ توجيه على توجيه سابق، والنّتيجة النّهائية لهذا اللّقاء بين سيّدنا موسى عليه السّلام مع السّحرة، تأثيره عليهم، فمع أنّهم أصروّا وأبدوا رغبة كبيرة في الارتقاء درجات في السّلّم الاجتماعي، بالاقتراب من أهل الحكم والجبروت في البلاد والحصول على مقابل مادي(الأجر)في حالة التّفوّق، إلاّ أنّهم في النّهاية تيقّنوا وهم أهل الصّنعة، وأهل خبرة في مجال السّحر، وعلى هذا الأساس أدركوا أنّ ما قاله لهم سيّدنا موسى عليه السّلام حقيقة لا مراء فيها، وأنّه رسول من ربّ العالمين، فأعلنوا إيمانهم دون مكابرة، بعدما تنازعوا الأمر فيما بينهم قبل هذا الموعد.

تنتهي هذه المرحلة أيضا من الدعوة، ومرة أخرى يحق الله الحق، ويبرزه على الباطل، بحيث يتحول السحرة وهم أمل فرعون في القضاء على دعوة سيدنا موسى، الذي وعدهم ومنّاهم بكلّ ما أرادوه، شرط التّغلّب على ما أتى به موسى. فيتحوّلون من الرّغبة في التّقرّب منه، إلى الزّهد في كلّ ما لديه، يتحوّلون من صفّ فرعون إلى صف موسى، بعدما رأوا الحقّ بارزا، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم بقدرة السّحر، وما يمكن للساحر أن يصل إليه، بالتّالي تيقّنوا أنّ ما جرى أمامهم لا يمكن أبدا أن تصل إليه قدرة السحر، وما دام ليس سحرا كما أعلمهم فرعون، فإنّ دعوة سيّدنا موسى عليه السّلام صادقة، فخروّا ساجدين، مستغفرين ربّهم على ما أقدموا عليه من إعانة الباطل ضدّ الحق المبين، فكانوا أوّل مؤمن برسالة سيّدنا موسى عليه السلام، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في سورة فاطر، أنّ العلماء أكثر خشية لله من عباده: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالاَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهُ كَذَالِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ اِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾[فاطر: 28]

فخروا كلّهم ساجدين لله الواحد الأحد، الذي أيد كليمه بتلك البينات، لتبدأ مرحلة جديدة بين موسى وفرعون حيث انتقل فرعون من السلطة المعنوية على القوم إلى إظهار جانب آخر من سلطته على القوم، وهي سلطة القوة والعدة، فيهدد بالتعذيب، والتنكيل بكل من آمن بما ظهر على يد موسى من البينات، خاصة بعد أن تحداه السحرة بإعلانهم إيمانهم دون خوف ولا تردد وهو ما سنراه فيما يأتي من البحث.

إستراتيجية السحرة في الخطاب:

*** قبل عملية الإلقاء:**

- **مواجهة سيدنا موسى:** كان السحرة كما يروي النص القرآني في البداية في صف فرعون الذي جمعهم من كل أقطار مصر التي كانت تحت سلطته، وقد أفهمهم أن الأمر متعلق بساحر يتوجب عليهم التضامن فيما بينهم من أجل الإطاحة به، لأنّه ينوي استبدال دين أجدادهم ويخرجهم من أرضهم لتكون له ولأخيه الكبرياء في الأرض، فاقتنعوا بذلك، بعد أن منّاهم فرعون بالمال والقرب فأتوا وكلّهم أمل في تحقيق الفوز والتّفوّق على سيّدنا موسى عليه السّلام، رغم نهيه عليه السلام لهم من الإقدام على التّحدّي، لأنّ الله الذي أيّده بالآيات سيسحتهم بعذابه.﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ اِفْتَرَىٰ**﴾ [طه: 61] ولكنّ كلام فرعون ووعوده لهم، غشّت بصائرهم، وصمّت آذانهم عن سماع الحق، وسدّت أمامهم طريق الهداية ﴿**فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ. قَالُواْ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنَ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ. فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ اَيتُواْ صَفًّا وَقَدَ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ. قَالُواْ يَامُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنَ اَلْقَىٰ**﴾[طه: 64-65]

- **السخرية والتّحدي:**

سخر السّحرة من شخص سيّدنا موسى وأخيه سيّدنا هارون عليهما السّلام، فرغم كلّ النّصائح والتّحذيرات التي قدّمها لهم، إلا أنّهم لم يهتمّوا بها وأخذوها مأخذ الهزل واستهزؤوا بكلامه رغم نفاذه في الحقيقة إلى عقولهم،فلو لم يخامرهم الشّك في صحّة كلام النّبي موسى عليه السّلام لمّا كان هناك داع أبدا للتنازع ولا للتّناجي وإسرار الأمر بينهم، فقد قالوا كلمتهم وهم يشترطون على فرعون دون خوف، ولا تردّد، وجمع النّاس لهم، ولكن تعلّقهم بالمادّة، ألهاهم عن إعمال عقولهم في أمور الدّين الجديد، وهكذا سخروا من النّبي الكريم وأعلنوا تحدّيهم له بعد أن تناعوا الأمر بينهم وأسرّوا النّجوى﴿**فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ. قَالُواْ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنَ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ. فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ اَيتُواْ صَفًّا وَقَدَ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ**﴾[طه: 62- 64]

التعريض:

إنّ التعريض بالخصم المتمثّل في شخص سيّدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام باد في هذه الآيات فالسحرة كما قال الله سبحانه وتعالى في وصفه لحالتهم قبل اللقاء المشهود أعرضوا عن دعوة الرسولين المبعوثين إليهم، ويشهد على ذلك قولهم:

﴿فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَينَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمُ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ. فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[الشّعراء: 41- 44]

﴿فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ. قَالُواْ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ. فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائتُواْ صَفًّا وَقَدَ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ. قَالُواْ يَامُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنَ اَلْقَىٰ﴾[طه:62-65]

فهما في نظرهم مجرد ساحرين بسيطين ورغم ذلك ينويان إخراج القوم من أرضهم، وهم أهل الحق كما أفهمهم فرعون، الذي حشرهم من كل أطراف البلاد، إذ عمدوا إلى القسم بعزّة فرعون على أنّ الغلبة ستكون لهم دون سيّدنا موسى عليه السّلام، وذلك تعريضا بسيّدنا موسى عليه السّلام، الذي حذّرهم من الإقدام على المواجهة لأنّ ذلك سيجرّ عليهم غضب الله، وسينتقم منهم، وستخيب كل مساعيهم وآمالهم، إن هم افتروا عليه كذبا، وتبعوا من قال إنّ ما جاء به من الآيات مجرّد سحر عادي يمكن أن يجارى، ويهزم صاحبه.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ اِفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61]

* **بعد الإلقاء:** أنّ السحرة أعلم أهل زمانهم بماهية السحر وقدراته، لذلك أدركوا أنّ ما أتى به سيّدنا موسى وما جرى على يديه، إنما هي آيات بيّنات من الله عزّ وجلّ، وما هو إلا رسول مبين

والله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالاَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ اِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾**[فاطر: 28]

اعتمد السحرة العديد من الأساليب لتوصيل فكرتهم، وتبليغها وفيما يلي نماذج منها وكيفية استعمالها في قصص سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون بعدما تبيّن لهم الحق

- مواجهة فرعون:

السجود: فالسحرة أوّل ما تبيّن لهم الحق خرّوا سجّدا معظّمين ما جاء به سيّدنا موسى ومنزّهين له عن السحر، ويبدوا أنّهم تذكّروا نصيحة سيّدنا موسى قبل المواجهة، إذ قال لهم جميعا: ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ**﴾ [طه:61]

وقوله لهم كذلك بعد عملية الإلقاء: ﴿**فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾[يونس:81-82]

لهذا تأكّدت غلبة سيّدنا موسى عليه السلام للسحرة، الذين أقرّوها بالفعل والقول، ومن الفعل سجودهم دون تردّد لإله سيّدنا موسى وهارون عليهما السّلام، إذ انقلبوا من التكبّر والتعالي، إلى الصغر والدناءة، فأحسوا بالذنب لتحدّيهم آيات الله.

ولعلّ قول الله تعالى على لسان السّحرة:

﴿**فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾[الأعراف: 119-120]

﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾[الشعراء: 46]

﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا**﴾[طه: 70]

ومن حجة القول:

﴿**قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾[الأعراف:121-122]

﴿**قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾[الشعراء:47-48]

﴿**قالُوا ءامنَّا بربِّ هَارونَ ومُوسَىٰ**﴾[طه: 70]

وكل هذه الأقوال، أكّدت القول بغلبة سيّدنا موسى إذ أضاف السّحرة لفظة الرّبّ إلى هارون وموسى تعريضا بفرعون فلو قالوا آمنّا بربّنا، لكان بإمكان فرعون الاستمرار في دعواه ويقول أنّه هو الرّبّ الّذي آمنوا به، فهو من جمعهم لهذا اليوم المشهود، كما أنّ هذه الإضافة حدّدت أيضا المقصود، ونفت كلّ الإمكانيّات الأخرى، وأغلقت أمام فرعون كلّ أبواب المراوغة، الّتي يمكن أن يلجأ إليها.

ولقد جسد قوله تعالى: **(إنك أنت الأعلى)«معنى الغلبة القصوى، لأن ضمير الفصل(أنت)انضام إلى التوكيد بالاستئناف وكلمة التشديد ولام التعريف ولفظ العلو»**[1] فأوقع بذلك معنى الغلبة لسيدنا موسى على السحرة وقد أوثر التصريح بضمير "الأنت" بدل التعريض الذي انتهجه السحرة" في قولهم: ﴿**وقد أفلح اليوم من استعلى**﴾ لتعيين سيدنا موسى ذاتا غالبة. فهم ليسوا متأكدين تماما من فوزهم وإن كانوا يرجونه حقا خاصة بعد الوعد الذي قطعه لهم فرعون، لذلك جاء كلامهم مبهما مملوءا بالرجاء.

الفضح:

﴿**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقض هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى**﴾ [طه: 72-73]

فقد اعترف السّحرة أمام الملأ بـــــــــــــ:

- أنّ فرعون هو الّذي أرغمهم على إتيان السّحر.
- وهو الّذي أجبرهم على هذا التّحدي.

﴿**فَلَنَاتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَانًا سِوًى**﴾ [طه:58]

﴿**قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ. يَاتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**﴾ [الأعراف:111-112]

- ﴿**قَالُواْ أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ. يَاتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾[الشعراء: 36-38]

والحشر يعني أنّ الأشخاص المحشورين مسلوبي القوّة والرّأي.

- المساومة والتحريض:

حيث بلغ به الأمر أن يقبل شروط السّحرة وهم يساومونه ويشترطون عليه الأجر إن هم تغلّبوا على كليم الله، فيقبل كلّ طلباتهم، بل ويزيدهم على الأجر أن يجعلهم من المقرّبين:

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص244.

﴿فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَينَّ لَنَا لأَجْرًا اِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكمُ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[الشعسراء: 41-42]

﴿وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا اِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[الأعراف: 113-114]

تحريضا لهم وشحذا لهمّتهم حتّى يقدّموا أفضل ما لديهم ويُظهروا كلّ قدراتهم من أجل الفوز.

وهو ما يُترجمه كلامهم حين أسرّوا النّجوى بينهم حيث قالوا كما وصف لنا القرآن حالتهم النّفسيّة واستعدادهم:

﴿قَالُواْ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُريدَانِ أَنْ يُّخْرِجَاكُمْ مِّنَ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى. فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ايتُواْ صَفًّا وَقَدَ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[طه: 63-64]

*** الضمائر في مقام مواجهة فرعون لسيدنا موسى عليه السلام:**

لقد **«قصد فرعون إلى استراتيجة تلفظية تضمن له الظهور بمظهر الغلبة. يقول تعالى على لسان فرعون ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾»**[1] كما عمد أيضا إلى استعمال **«ضمير المتكلم المشارك(نا) في الألفاظ(أجئتنا) (لتخرجنا) و(أرضنا) لإيقاع معنى التعظيم والغلبة وقد يكون مستخدما في الجماعة تغليبا، وقد نزّل فرعون نفسه واحدا منها»**[2] وهذا النوع من الإستراتيجية التضامنية التي قصد إليها فرعون ليظهر لموسى بأنه محاط بمظاهر المنعة وأنه مدعم من بني إسرائيل. ثم إنه في قوله: ﴿**بسحركما يا موسى**﴾ **«أضاف السحر إلى ضمير موسى والإضافة هنا مقصودة لإيقاع معنى التحقير»**[3] **أي تحقير للسحر الذي أتى به سيّدنا موسى عليه السلام «ثم أضاف السحر(أو سحرا مثله)إلى ضمير نفسه تعظيما لشأنه(أي شأن السحر)»**[4] **وفي تحقيره لسحر موسى تحقير لسيدنا موسى، وفي تعظيمه لسحره تعظيم لنفسه.** إن إستراتيجية إضافة الضمائر هنا مرادة لتأكيد حضور الذات وغلبتها، وإقصاء الآخر وإظهاره مظهر الانهزام والضعف.

---

[1] – إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم: ص 152.

[2] – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، 244.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه.

ستراتيجية فرعون بعد الإلقاء:

الحجاج بالسلطة: عمد فرعون بعد ظهور الحق، واستيقانه أن ما أتى به موسى هو الحق من ربه إلى تغيير إستراتيجيته ويبين ذلك ما يلي:

من أدوات هذا النّوع من الحجاج اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي وخاصة في النصوص الدينية والسياسية، ويمكن أن نجد لهذا النوع من الإقناع الذي ينحو منحى استسلاميا أمثلة عديدة في الخطابة العربية كخطبة الحجَّاج لأهل العراق، مخاطبا ومهددا لهم: (من أعياه داؤه فعندي دواؤه) فالحجة (من أعياه داؤه) نتيجتها جاءت في شكل تهديد مباشر من المخاطَب(فعندي دواؤه).

- مع السّحرة:

بعدما أعلن السحرة إيمانهم بما أتى به سيّدنا موسى وتيقّنوا أنّه من عند الله لجأ فرعون يوم الزّينة إلى حجّة السّلطة بعدما أعلن السّحرة إيمانهم أمامه وقالوا على مسامعه مستهينين به متنازلين له عن كل ما وعدهم به من جزاء وفير وأجر عظيم، فقال مهددا متوعدا كما يروي لنا النص القرآني:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنَ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[طه: 71]

- مع سيّدنا موسى عليه السّلام:

بعدما بات فرعون مقتنعا بالأدلّة التي ساقها على مسامعهم سيّدنا موسى عليه السلام، قال مهدّدا ومتوعّدا، إياه بالسجن إن هو اتّخذ إلها آخر من دونه يعبده **﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾**[الشعراء: 29]

استراتيجيّة الملأ:

ساهم الملأ في تأجيج غضب فرعون ضدّ موسى ومن اتّبعه من السحرة والقوم، مع العلم أنّه لم يتّبعه إلاّ قلّة من قومه(أي أنّ أتباعه كانوا فقط من بني إسرائيل، ولم يكن له أتباع من القبط الذين هم قوم فرعون) لقوله تعالى:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلاَّ ذُرِّيَّـةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَّفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الاَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:83]

ومع ذلك أخذت العزّة بالنّفس الملأ الذين اعتادوا السّيطرة على قوم بني إسرائيل، وخافوا أن يسكت عن هذا الأمر بعدما تبيّنت لهم ولغيرهم بيّنات الله وآياته ساطعة، فقالوا له مؤججين غضبه عليهم، داعين له إلى استعمال القوّة ضدّهم، معتمدين في ذلك على تذكيره بمكانته، وكذا بآلهته التي كان اتّخذها لقومه ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الاَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنَقْـتُلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[الأعراف: 127]

وقد نجحوا في إقناع فرعون الذي أدرك أنّه إن سكت عن هذا الأمر، وبقي مكتوف الأيدي فسيبدو للقوم ضعفه، وكذبه وخداعه لهم، وبالمقابل صدق دعوى سيّدنا موسى عليه السّلام، ولهذا عمد إلى حجة السلطة التي بقيت وحدها السبيل الممكن سلوكه في هذه الحالة، بالتالي عاود فرعون قتل أبناء الذين آمنوا من بني إسرائيل.

العوامل الحجاجيّة:

اعتمد السحرة في أقوالهم مجموعة من الآليات اللغوية من أجل توجيه خطابهم وجهة محدّدة، فلا يكون للمستمع سبيل لتحريف معناه وتأويله، بغير ما أرادوه.

ومن بينها، العامل (لن)

- التوجيه بـــ "لن": قال السحرة لفرعون:

﴿قَالُواْ لَن نُّوثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ اِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ ﴾ [طه: 72]

لدينا العامل الحجاجي(لن) الذي وجه الكلام وجهة محددة، أغلقت أمام فرعون كل سبيل أو محاولة لتظليلهم من جديد وإعادتهم إلى صفه، رغم كل تلك الوعود التي منّاهم بها.

- التوجيه ب (إنّ)

- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: 73]

استراتيجية القوم مع فرعون:

- الخوف والتّردّد:

وعلى الرغم من ظهور البينات وسطوع نورها وقوّة برهانها، إلا أن الخوف من فرعون ومن معه، منع القوم فلم يعلن كلّ الّذين آمنوا عن إيمانهم، وأما الأقليّة التي أعلنت عن إيمانها فكانت من بني إسرائيل قومه، يقوله تعالى:

- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلاَّ ذُرِّيَّـةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَّفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الاَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83]

- ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّـنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85- 86]

- ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَاتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمُ أَنْ يُّهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الاَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: 129]

3- حجاج سيدنا موسى عليه السلام مع قومه:

كنا قد أشرنا في بداية هذا البحث إلى أن قصص سيدنا موسى عليه السلام قد تربع على عرش القصص القرآني، وأشرنا كذلك إلى أن السبب في ذلك هو طبيعة من بعث إليهم، على اختلاف مكانتهم ومراتبهم الاجتماعية، بداية من أعلى هرم السلطة ممثلين في فرعون وهامان وقارون والجند، إلى أدناها ممثلين في القوم الذين بعث لتخليصهم من هذا الجبار بإخراجهم من مصر وكنا رأينا في المراحل الأولى من هذا البحث كيف أثبت سيدنا موسى عليه السلام قدرة فائقة في حجاجه معهم، وكيف كانت آيات الله التي أيده بها سببا في إيمان السحرة، وقلب الموازين لصالح الدعوة، مما أثار حمية فرعون، فأخذ يهدد ويتوعد، وبعد قتل السحرة، رأينا كيف استخف فرعون القوم فأطاعوه، واتبعوه مشرقين فأغرقهم الله في اليم جميعا. وأنجى سيدنا موسى ومن معه من بني إسرائيل أجمعين.

- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلاَّ ذُرِّيَّـةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَّفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الاَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس: 83]

أما في هذه المرحلة من البحث فسنحاول أن نتطرق إلى الإستراتيجية التي اتخذها سيدنا موسى مع قومه وكذا إستراتيجيتهم معه، **فما هي العقبات التي واجهها معهم؟ هل كانوا يأتمرون بأوامره؟ وهل كانوا حقا مؤمنين برسالته التي جاءهم بها من عند الله سبحانه وتعالى؟ هل اقتنعوا بقدرة الله عز وجل الذي نصرهم على فرعون وخلصهم منه بعد أن لحق بهم وكانوا قاب قوسين من الوقوع في قبضته وبالتالي الهلاك الأكيد على يده أم أن طول حياة الذل والاستعباد التي عاشوها تحت سيطرته أفسدت عقولهم وقلوبهم فما عادوا يميزون بين الحق والباطل؟**

ويمكننا تقسيم القصص الذي يروي قصة موسى مع قومه إلى مرحلتين أساسيتين، تبدأ الأولى من يوم الزّينة ﴿**فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلاَّ ذُرِّيَّـةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَّفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الاَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾[يونس: 83] إلى حادثة شق البحر وغرق فرعون والقسم الثّاني يفتتح بمرور بني إسرائيل على قوم يعكفون على أصنام لهم فطلبوا من سيّدنا موسى عليه السّلام أن يجعل لهم إلها مثلهم ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [الأعراف: 138] فإذا «**انتهت معركة موسى عليه السّلام مع عدوّه، وعدوّ الله فرعون الطّاغية، فهو هذه المرّة يواجه معركة أخرى أشدّ وأقسى، إنّها المعركة مع النّفس البشريّة، بما فيها من رواسب الذّل والخضوع**»[1].

بحثنا كثيرا في سور القرآن الكريم، خاصّة في المواقف التي تروي لنا ما جرى بينه وقومه، عن موقف يبرز فيه التنازع بينهم، فلم نجد غير الموقف الذي يتحدّث عن فتنة السامري لهم، وسنحاول تحليل أحداث قصة السامري، التي يبرز فيها التنازع بين أطراف الخطاب، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الجزء من قصّة سيّدنا موسى عليه السلام، هو الوحيد الذي يبرز فيه صوت أخيه سيّدنا هارون عليه السلام، إضافة إلى القوم مع السامري بالتالي يتنازع العملية الحجاجية أربعة أطراف، نحاول أن نتعرّض للعلاقات التخاطبية الرّابطة فيما بينها جميعا، واستراتيجياتهم في سبيل إقناع الأطراف الأخرى.

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، دار الشّروق، ط10، مج 3، ص 1251.

العلاقات التخاطبية في الخطاب: تجدر الإشارة قبل البدء في التّحليل، إلى أنّ المرسل الأساسي للخطاب هو سيّدنا موسى عليه السّلام، والمرسل إليه الأوّل هم القوم(بنو إسرائيل)

- علاقة سيّدنا موسى عليه السّلام مع سيّدنا هارون عليه السّلام:

على المحور الأفقي: تجمع سيّدنا موسى عليه السلام بسيّدنا هارون علاقة الأخوّة، فهو أخوه الشقيق لأبيه وأمّه على الرغم من أن سيّدنا موسى عليه السلام، تربى في قصر فرعون، ولكن إنّما كان ذلك لغرض أراده الله عزّ وجل ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ**﴾[طه: 39]

ولكن هناك بعض الآيات القرآنية التي جاءت سواء على لسان سيّدنا موسى أو على لسان سيّدنا هارون عليهما السلام، يصفان العلاقة بينهما بالأخوّة، منها قول سيّدنا موسى حين كلّفه الله عزّ وجلّ بالرسالة:

- ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِنْ اَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ﴾[طه:29-36]

- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدًا يُصَدِّقُنِي إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34]

أما سيّدنا هارون عليه السلام، فعلى الرغم من قلة بروز صوته في النّص القرآني، إلا أنه جاء على لسانه قوله في قصّة السامري حين استخلفه أخوه سيّدنا موسى عليه السّلام على قومه، الذين استضعفوه، ولم يطيعوه، فكان ما كان بينه وبين موسى عليه السلام حين عودته، حيث قال: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِيسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الاَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الاَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأعراف: 150- 151]

ولقد أقرّ الله سبحانه وتعالى أخوّتهما بقوله: ﴿**اَذْهَبَ اَنتَ وَأَخُوكَ بِئَايَتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِيَ. اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[طه: 42- 43]

على المحور العمودي:

سيّدنا موسى أعلى مكانة من سيّدنا هارون عليهما السّلام، بدليل هيمنته الكلية على الأمور بينهما، فكانت القيادة لموسى في حين كان هارون تابعا فقط وذلك لأنّ سيّدنا موسى عليه السّلام:

- هو من طلب من الله أن يشركه في أمر الرسالة: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي, وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنَ اَهْلِي, هَارُونَ أَخِي, اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا.وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ**﴾[طه: 27-36]

- استخلافه له على القوم حين ذهب للقاء ربه: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[الأعراف: 142]

- تصرفه معه حين عودته غضبان أسفا: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِيسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الاَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الاَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[الأعراف: 150]

- طلبه من الله أن يغفر له ولأخيه هارون: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأعراف: 151]

العلاقة التخاطبيّة بين سيّدنا موسى عليه السّلام وقومه:

- **على المحور الأفقي:** سيّدنا موسى عليه السّلام رسول مبعوث من الله عز وجلّ، إلى قومه بني إسرائيل، لينقذهم من قبضة فرعون الطاغية، وغطرسته وتجبّره هو وقومه... وعلى هذا فإنّه تجمعه بهم خصّيصة العرقية، إذ ينتميان إلى العرق ذاته (بنو إسرائيل) ويجسّد هذا في حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام لقومه قوله في كل مرّة يخاطبهم فيها (يا قوم) ودليل ذلك من الآيات القرآنية قوله تعالى:

- ﴿وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَءَاتَاكُم مَّا لَمْ يُوتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ. يَاقَوْمِ ادْخُلُواْ الاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ التِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَىٰ أَدْبَـارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴾[المائدة: 20- 21]

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّـنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 84- 85]

- ﴿وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَامُرُكُمُ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنَ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]

أما من جهة بني إسرائيل، قومه فلم يسجّل لنا القرآن الكريم، أنّهم نادوه ولو مرّة بلقب الرسول أو النّبي، فكل ما كان منهم قولهم في كل مرّة باسمه مباشرة وهو ما نهى الله سبحانه تعالى الصّحابة عن فعله، حتى لا ينزّلوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، منزله أحدهم من الآخر

- ﴿لاَ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ اَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ [النّور: 63] لكنّ بني إسرائيل كانت هذه طريقتهم الوحيدة كما يبرز لنا النّص القرآني ذلك:

- ﴿قَالُواْ يَا مُوسىَ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَّخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22]

- ﴿قَالُواْ يَا مُوسىَ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّـكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَهًا كَمَا لَهُمُ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: 138]

كما أظهروا له قلّة احترام، في قصّة البقرة، إذ جعلوه واحدا منهم، ونزلوه منزلة أيّ كان بينهم ويبين ذلك قولهم لرسولهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَامُرُكُمُ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنَ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَالِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُومَرُونَ. قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا

بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الاَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الاَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ. فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة :67- 71]

وبلغ بهم اللّؤم أن نكلوا عن الأرض المقدّسة التي جعلها الله خالصة لهم، وأغلظوا القول للرسول وهو يحرّضهم من أجل أن يدخلوها آمنين، فقالوا كلمتهم اللّئيمة

﴿قَالُواْ يَا مُوسىَ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

وصدق الشّاعر إذ قال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللّئيم تمرّدا

لقد تمرّدوا وتمادوا كثيرا فيما هم فيه من ظلالهم.

على المحور العمودي:

سيّدنا موسى عليه السلام رسول الله، مرسل إلى بني إسرائيل، بالتالي فهو سيّد قومه يعلوهم مكانة إذ اصطفاه الله على أهل زمانه، وأيّده بالمعجزات، وقد هيمن على كل الخطابات التي جمعته بهم، فكانوا تابعين له، بعدما تمكن بفضل الله، من إنقاذهم من بطش فرعون وقومه، ذلك أنّ فرعون جعل القوم في زمانه شيعا، فكان قوم بني إسرائيل مسيطرا عليهم من قبل القبط الذين هم قوم فرعون، الذين جعلوهم خدما عندهم، يستغلونهم لقضاء أمورهم.

- **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الاَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[القصص: 4]

- **﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ اَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾**[القصص: 15]

- **﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمَ اَرَدْتُّمْ أَنْ يَّحِلَّ عَلَيْكُمْ**

غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي. قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَآ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ. أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي. قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ. قَالَ يَاهَارُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ. أَلاَّ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَاخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ اَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرِ اِلَىٰ إِلَهِكَ الذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا. إِنَّمَآ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الذِي لآَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: 85-98]

علاقة سيّدنا موسى عليه السلام مع السامري:

- على المحور الأفقي:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمَ اَرَدْتُّمْ أَنْ يَّحلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي. قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَآ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ. أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُيَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي. قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ. قَالَ يَاهَارُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ. أَلاَّ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَاخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ اَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن

تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرِ إِلَى إِلَهِكَ الذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا. إِنَّمَآ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الذِي لآَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه:85-98]

على المحور العمودي:

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[طه: 95]

- ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرِ إِلَى إِلَهِكَ الذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا﴾[طه: 97]

العلاقات التخاطبية لسيّدنا هارون عليه السّلام:

علاقته بالقوم:

- على المحور الأفقي:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي. قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [سورة: 90-91]

- على المحور العمودي:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِيسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الاَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الاَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: 50]

العلاقات التخاطبية لسيّدنا هارون عليه السلام:

علاقته بالقوم:

على المحور الأفقي:

تربط سيّدنا هارون عليه السّلام ببني إسرائيل علاقة العرق، فهو من نفس العرق معهم، فهو أيضا إسرائيلي.

على المحور العمودي:

هو رسول مبعوث إليهم مع أخيه سيدنا موسى عليه السّلام، ولكنّهم لا يضعونه في هذه المنزلة، بل أكثر من ذلك فهم يستضعفونه كما جاء على لسانه في القرآن الكريم.

مؤشرات الاقتراب من سيّدنا هارون إلى القوم:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي﴾[طه:90]

إستراتيجيته مع القوم:

النّصح والإرشاد:﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي﴾ [طه:90]

مؤشرات الابتعاد من جهة القوم:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِيسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الاَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الاَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150]

– **﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾**[طه: 91]

العوامل الحجاجيّة:

- ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[طه: 91]

– بعدما ذهب سيّدنا موسى عليه السّلام للقاء ربّه، نقض بنو إسرائيل عهدهم به، ولم يتّبعوا نصيحة أخيه الرّسول الذي خلّفه عليهم حتى لا يظلوا السبيل ريثما يأتيه بعهد الله وميثاقه، الذي يسيّر حياتهم، ولكنّهم لم يتّبعوه كما كان مطلوبا منهم فما ظهر لهم السّامري حتى فتنهم، وأصبحوا متعلّقين بذلك العجل، وظلّوا عليه عاكفين ﴿**قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ**﴾[طه: 91] وليس غريبا هذا التّصرّف منهم، لأنّهم بعدما فلق لهم الله سبحانه وتعالى البحر وأنجاهم من عدوّهم، وأغرقه أمام أعينهم، طلبوا من نبيّهم عليه السّلام، أن يجعل لهم إلها يعبدونه.﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[الأعراف: 138-140]

ولهذا قطعوا السبيل أمام سيّدنا هارون عليه السّلام، حين حاول إعادتهم إلى جادة الصّواب وجاء نفيهم مما لا يقبل المراجعة فيه، إذ تختص لن بالنّفي الأبدي، المستغرق للزمن المضارع، ولا يمكن أن يغيّر من رأيهم إلا عودة سيّدنا موسى عليه السّلام إليهم.

– **إنّ ربّكم الرحمن:** أكّد سيّدنا هارون عليه السّلام لقومه، أنّ عكوفهم على العجل الذي صنعه لهم السّامري، ما هو إلا فتنة، يجب عليهم الابتعاد عنها، وبعد ذلك حاول تذكيرهم برحمة ربّهم الذي أنجاهم، وأنّه الجدير بالعبادة، أما هذا العجل فلا يعدو كونه جسدا له خوار، لا يملك لهم لا ضرا ولا نفعا بالتالي يكون العامل الحجاجي (إنّ) قد وجّه الحجّة وجهة محدّدة، وهي تنفي كليا الإلهية عمّا فتنهم به السّامري.

- **علاقته بالسامري:** لا يوجد دليل من النّص القرآني يربط العلاقة بين سيدنا هارون عليه السلام مع السامري، ولكن مع ذلك فإن اغتنام السامري فرصة غياب سيّدنا موسى عليه السّلام، عن القوم، واستخلافه لأخيه على القوم ليضلّهم، يؤكّد أنّه لا يقدّره، ويفترض أن يكون قد لمس من القوم استضعافهم له فتجرّأ على فعلته.

العلاقات التخاطبية للسّامري:

على المحور الأفقي:

التّعريض بسيّدنا هارون عليه السّلام:

فقوله للقوم، في حضرة سيّدنا هارون عليه السّلام، أنّ هذا إله موسى وأنّ موسى نسي ربّه، دليل على أنّه لا يقيم لسيّدنا هارون عليه السّلام أيّ وزن، فهو لا يعترف به رسولا مرسلا، من الله مثل سيّدنا موسى عليه السّلام.

على المحور العمودي:

الاستراتيجيات الخطابية:

الحجاج المغالط:

- ﴿**قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ**﴾ [طه: 87- 88]

- ﴿ **أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا**﴾[طه:89]

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

*** باللغة العربية:**

- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج01/ ج3/ ج15/ ج16.دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،

- أحمد جمال العمري: المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ/ 1990م.

- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. مج3. ط2. دار المعرفة. بيروت. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- جان سرفوني: الملفوظية: دراسة وترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،1998.

- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

- خالد ميلاد: الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة –دراسة تداولية–، ط1، جامعة منوبة كلية الآداب منوبة/ المؤسسة العربية للتوزيع، تونس:1421هـ/ 2001م.

ـــــ الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (467هـ/ 538م): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، ط1، ج1/ ج2.. دار الكتب العلمية بيروت، 1995م/ 1415هـ.

- السكاكي: مفتاح العلوم، دت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

- السكوني أبو علي عمر: عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، د.ط، د.ت، 1976.

- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، د ط، 1988.

- أبو بشر بن عمر عثمان ين قنبر: الكتاب(كتاب سيبويه) تح وشر: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني.

- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللّغة، (د.ت)، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة.

- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.

- ـــــــــــــــ: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، 2000. المركز الثقافي العربي، بيروت.

- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير-مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج- أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق التّنجي، ط1، دار الكتب العربيّة، لبنان، 2005.

- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس/ كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، 2001.

- عبد الله العشي: زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواسطة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د.ط، 2005.

- علي محفوظ: فن الخطابة و إعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر

- محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب، الجزائر.

- محمّد الرّازي فخر الدّين(544- 604): تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، ج 07، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، بيروت، 1981

- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة في القرن الأول نموذجا)، دار الثقافة، ط1، 1986، دار الثقافة، سلسلة الدراسات النقدية (5) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- محمد متولي، الشعراوي: قصص الأنبياء ومعه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1. اعتنى به وخرج أحاديثه: محمد سامح، دار القدس للطبع والنشر والتوزيع، 1426م/ 2006.

*** المعاجم:**

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1. مج1/مج2/ مج5. 1997.

- الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي: التعريفات، الدار التونسية للنشر، د.ط،1971.

- الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، ج 14، مطبعة الكويت، د ط، 1974

- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، ج1/ ج2. مطابع المعارف مصر.1393هـ/ 1972م.

- المعلم بطرس البستاني: كتاب قطر المحيط، مج1/ مج2، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصالح، بيروت، 1969.

- محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، ط2. دار النصر للطباعة.

***الرسائل الجامعية:**

- توامة عبد الجبار: الفعل في القرآن، جامعة الجزائر، 1986.

- عائشة خديم: إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم – خطاب بعض الأنبياء نموذجا – رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2006 /2007.

- عمار زرقين: بنية الحوار في الخطاب القرآني، قصة موسى نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، إشراف عبد الله العشي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها 2003 – 2004.

- عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية حجاجيّة للخطاب الصّحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989 و2000. أطروحة دكتوراه، 2005/ 2006. جامعة الجزائر.

– قدور عمران: الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل –دراسة تداولية– جامعة بن يوسف بن خدة. رسالة دكتورا

*** المجلات:**

– الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم" سورة النمل نموذجا".مجلة اللغة والأدب، العدد 12، جامعة الجزائر، أكتوبر 1997.

– خولة طالب الإبراهيمي: قراءة في اللسانيات النصية، مبادئ في اللسانيات النصية لجان ميشال آدام، اللغة والأدب، الجزائر، ع12، ديسمبر 1997.

– رويض محمد: حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفيّة لسانيّة ديداكتكيّة، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 26.

– عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم" سورة الأنبياء نموذجا"، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب– دمشق العدد 102. السنة السادسة والعشرون– نيسان 2006. ربيع الثاني، 1427.

– الشيخ بوقربة: المفاهيم الأدبية في النقد العربي الحديث، علامات في النقد، جدة، السعودية، ج40، مج10، يونيو 2001.

– محمد الصغير بناني: مفهوم النص عند المنظرين القدماء، اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12، ديسمبر 1997.

*** المراجع الأجنبية:**

- C. Golder, Le développement des discours argumentatifs

- Caron (Jean) : Les régulations du discours : Psycholinguistique et pragmatique du langage, P.U.F

- Ducrot, LES ECHELLLES ARGUMENTATIVES, LES EDITION DE MINUIT

-Ducrot (O) et Anscombre (J.C) : L'argumentation dans la langue, (éd.) Mardaga, 1997.

- Dominique. Maingueneau, Nouvelles tendances en analyse du discours.

- Emile Benveniste . Problèmes de linguistique générales. 1. 2. Gallimard. Paris. 1966.

- J. M. Adam (1984), Des mots aux discours, l'exemple des principaux connecteurs, in « Pratiques », N° 43, CRESEF.

- R, Escarpit: L'écrit et la communication. Paris, puf ;(coll que sais-je? ; 1978.

- Petit Robert: Dictionnaire de la langue Français.1er rédaction. Paris. 1990.

- Uli Windish: (1987), Le K.O verbal : La communication conflictuelle, Lausanne, l'âge d'homme.

*** الأنترنيت:**

-http://www.alshamsi.net-

- http://www. Islamtoday. Net

- www//:fikrwanakd.aljabriabed.n26-04rueyd.htm

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة..... 01

المدخل.....06

- الحجاج لغة واصطلاحا.....07

- الحجاج في اللغة.....09

- السلالم الحجاجيّة.....11

- مصطلح الحجاج في القرآن.....13

- الحجاج في القرآن الكريم.....15

الفصل الأول: الحجاج التواصلي

- البعد التواصلي في الخطاب القرآني.....25

1- حجاج الله سبحانه وتعالى مع سيّدنا موسى..... 25

- العلاقة التخاطبية وبعدها الحجاجي.....25

- العلاقة التّخاطبيّة في الخطاب.....28

2-حجاج سيّدنا موسى عليه السلام مع الرجل الصالح (الخضر).....43

- العلاقة التخاطبية 43

- العلاقة الأفقية.....43

- العلاقة العمودية.....49

- العوامل الحجاجية والتّوجيه الحجاجي للخطاب.....54
- أفعال الكلام.....59

الفصل الثاني: الحجاج التنازعي

- تقديم..... 62
1 - التّبليغ التنازعي.....62
- خصائص الخطاب التنازعي.....62
- الحجاج في الخطاب التنازعي.....66
2 - حجاج سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون.....66
- إستراتيجيّة سيّدنا موسى عليه السّلام في إلقاء الدّعوة.....68
- إستراتيجيّة تعريضيّة (تلميحية للدعوة):.....69
- - إضفاء الشّرعية على الخطاب باعتماد الأدلّة المقنعة وإثبات الدعوة.....70
- - دعوة الجمهور ومحاولة إشراكهم في الدعوة..... 70
- - سلمية حججه عليه السلام:.....71
- - الفضح:.....71
3- إستراتيجيّة فرعون في مواجهة الدعوة.....74
أ - في بداية الدعوة: 74
- إستراتيجيّة تعريضية لرفض الدعوة:.....74
- الفضح:.....75

- السخرية من الخصم والانتقاص من قدره:.....76

ب- بعد ظهور البينات:.....76

- إثارة القوم ضدّ سيّدنا موسى عليه السّلام.....76

- الحجاج المغالط.....76

- الحجاج بالسّلطة.....78

- إستراتيجيّة سيدنا موسى في مواجهته مع السحرة:.....79

- قبل الإلقاء.....79

- النصح:.....79

- الاستهانة بهم والثّقة بما آتاه الله من حجّة بيّنة.....79

استراتيجة السّحرة في الخطاب.....81

- قبل عملية الإلقاء.....81

- مواجهة سيّدنا موسى.....81

السّخرية والتّحدي.....81

- التّعريض.....82

- بعد الالقاء.....82

- مواجهة فرعون.....83

السجود.....83

الفضح.....84

- المساومة والتّحريض.....84

- استراتيجيّة فرعون بعد الالقاء.....86
الحجاج بالسّلطة.....86
مع السّحرة.....86
مع سيّدنا موسى عليه السّلام.....86
- استراتيجيّة الملأ.....86
العوامل الحجاجيّة.....87
- استراتيجيّة القوم مع فرعون.....88
الخوف والتّردّد.....88
3- حجاج سيّدنا موسى عليه السلام مع قومه.....88
- العلاقات التخاطبية في الخطاب.....90
- علاقة سيّدنا موسى عليه السّلام مع سيّدنا هارون عليه السّلام..... 90
- على المحور الأفقي.....90
- على المحور العمودي.....91
- العلاقة التخاطبيّة بين سيّدنا موسى عليه السّلام وقومه.....91
- على المحور الأفقي.....91
- على المحور العمودي.....93
- علاقة سيدّنا موسى عليه السّلام مع السّامري.....94
- على المحور الأفقي.....94

- على المحور العمودي.....95
- العلاقات التخاطبية لسيّدنا هارون عليه السّلام..... 96
علاقته بالقوم.....96
على المحور الأفقي..... 96
على المحور العمودي.....96
استراتيجيته مع القوم.....96
مؤشرات الابتعاد من جهة القوم.....96
العوامل الحجاجيّة.....97
علاقته بالسّامري.....98
العلاقات التّخاطبيّة للسّامريّ.....98
على المحور الأفقي.....98
على المحور العمودي.....98
الخاتمة.....99
قائمة المصادر والمراجع.....106
فهرس البحث.....112